التربيـــة الخلقيـــة
في القـــرآن الكريـــم

دكتـــور
خليفـة حسيـن العسـال
الأسـتاذ المسـاعد بقسـم
الدعـوة والثقـافة الإسـلامية

٥٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

■ تقديم ■

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. المتمم لأخلاق النبيين والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

وبعد:

فالأخلاق هي الدعامة الأولى في حفظ كيان الأمم ولهذا اتفقت كلمة الفلاسفة والباحثين على ضرورتها للمجتمع كله في جملته وتوجهت عنايتهم إلى الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة.

والأخلاق في الأصل ميثاق مع الله يشمل كل أعمال الإنسان تتفرع منه وتندرج تحته جميع المواثيق ومنشأ الأخلاق من طبيعة الإنسان ذاته، من أن له طريقين وأن له القدرة على التمييز والاختيار بين أيهما ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾(*).

ومن ثم فالقيمة الخلقية لاصقة بأعمال الإنسان بحكم طبيعته، وإنما تختلف القيم باختلاف واضعها هل هو الله أم هو البشر؟ فإن كانت من عند الله فهذه هي القيم الحقيقية الصالحة لأنها من عند خالق الإنسان العليم به وبما يصلح له ومايصلحه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (**). من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء جميعاً الحث على الأخلاق الفاضلة ولذا جعلها الرسول (ﷺ) من أهداف رسالته، وشدد القرآن الكريم على الاستمساك بها فنوع من أساليبه الداعية الى تنشئة الناس عليها وتخلقهم بأفضلها أملا في أن يحقق الإنسان عن طريقها السعادة في الأولى والفوز في الآخرة. وبحثنا هذا محاولة جادة للكشف عن بعض الأساليب القرآنية التي تربي الانسان على الأخلاق السامية وتبعث على تهذيب نفسه وإقامتها على الهدى القويم والنهج المستقيم لمن أراد الله له الهداية والرشاد - إنما يتذكر أولوا الألباب.

وبالله التوفيق ،،،

---

* سورة الشمس الآية/ ٧ - ١٠.

** سورة الملك الآية / ١٤.

■ تمهيـــــــد ■

إن الباحث المنصف الذي يقرأ القرآن الكريم متدبراً لآياته متفهماً لمعانيه واقفاً عند أوامره ونواهيه يصل إلى نتيجة حتمية هي أن من أهم المقاصد القرآنية نشر الأخلاق والدعوة إلى الفضيلة والعمل الصالح والنهى عن المنكرات الظاهرة والباطنة فهو أعظم دستور أخلاقي على الاطلاق، فلم يكن مجرد كتاب للعلوم أو الآداب وإنما نزل ليكون كتاب هداية فهو جامع لأسس التربية الأخلاقية التي بها تصلح الحياة وتسعد النفوس، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أملاً في أن يصل بالناس إلى أعلى درجات الكمال النفسي والرقي الإنساني قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[2].

وقد اتسعت دائرة الأخلاق القرآنية لتستوعب كل عمل إرادى ونشاط إنساني كريم لأن قانون هذه الأخلاق قد رسم منهج السلوك للإنسان في جميع مجالات حياته وعلاقاته في شتى النواحي الفردية والإجتماعية يقول د/ محمد عبدالله دراز: (لا نكتفي بأن نقول إن هذا القانون لم يدع للنشاط الإنساني في ناحيته الفردية والإجتماعية مجالاً حيوياً أو فكرياً أو أدبياً أو روحياً إلا رسم له منهجاً للسلوك وفق قاعدة معينة بل نقول إنه تخطى علاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته ببنى جنسه فشمل علاقته بالكون في جملته وتفصيله، ووضع لذلك كله ما شاء الله من الآداب المرضية والتعاليم السامية، وهكذا جمع ما فرقه الناس باسم الدين وبإسم الفلسفة ثم كان له عليهما المزيد)[3] وبناء على هذا تشمل أخلاق القرآن العقيدة والعبادة لأنها تدخل في نطاق علاقة العبد بربه وهي أقدس العلاقات وأولاها بالتوجيه والتنظيم والعناية[4].

وقد تجسد هذا المعنى في أخلاق رسول الله (ﷺ) حتى أثنى عليه ربه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5] وقد ورد أن سعد بن هشام سأل السيدة عائشة عن خلق رسول الله

---

(١) سورة الإسراء - ٩

(٢) سورة الأنعام - ١٥٣.

(٣) د. محمد عبدالله دراز: دراسات إسلامية ص ١١١ ط ٢ دار القلم الكويت سنة ١٩٧٤م

(٤) د. محمد عبدالله دراز: المختار من كنوز السنة ص ١٠٢ ط ٤ أمير دولة قطر بدون

(٥) سورة القلم - ٤

(ﷺ) فقالت: (ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله (ﷺ) كان القرآن)[٦].

ومعنى ذلك أن نطقه وسكوته وظاهره وباطنه وشغله وفراغه (ﷺ) كان وفق القرآن ونابعاً من أسسه ومبادئه - يقول ابن كثير: (ومعنى هذا أن عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له، وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه)[٧].

ويؤكد هذا المعني قول الشيخ شلتوت رحمه الله (ومن هنا كانت عناية الإسلام بالخُلق تفوق كل عناية ولقد وصلت هذه العناية عند الرسول (ﷺ) إلى أن جعل الخُلق متعلق رسالته)[٨].

* مفهوم الخُلق:

- في اللغة:

الخُلق لغة: معناه: العادة والطبع والسجية، والمروءة والدين[٩].

وجاء في القاموس الخُلق بالضم، وبضمتين: (السجية والطبع والمروءة والدين)[١٠].

وجاء في لسان العرب (الخلق بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بمنزلة الخُلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة)[١١]

أما في الاصطلاح فقد عرفه بعض العلماء بأنه (عادة الإرادة) ومعنى هذا أن الخلق عبارة عن الميل الراسخ الذي تكتسبه الإرادة نتيجة لممارسة فعل معين، وتكراره مرات

---

(٦) رواه مسلم - المنذرى مختصر صحيح مسلم رقم الحديث ٣٩٠.
(٧) الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: جـ ٤ ص ٤٠٢ ط حلب ١٩٨٠
(٨) الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة: ص ٤٦٤ ط ١ مطبعة الأزهر - ادارة الثقافة الاسلامية ١٩٥٩
(٩) مختار الصحاح مادة: خلق، جميل صليبا: المعجم الفلسفي مادة أخلاق.
(١٠) الفيروز أبادي: القاموس المحيط: جـ ٣ ص ٢٣٦ ط ٢ مصطفي الحلبي وأولاده ١٩٥٢.
(١١) ابن منظور: لسان العرب جـ ١ ص ٨٨٩ ط دار لسان العرب بيروت ١٩٥٥م

كافية بحيث يصدر مثل هذا العمل عن الميل المذكور بسهولة ويسر كلما وجد داعيه، كمن تأصلت في إرادته عادة الكرم والميل إليه فإنه يبذل كلما وجدت الظروف الداعية للبذل، وهكذا فهذه العادة والميل الراسخ تسمي خلقا[١٢] .

وقال بعضهم بأنه: (تغلب ميل من الميول على غيره باستمرار)[١٣] والتعريفان بمعنى واحد وعلق الدكتور / محمد يوسف موسى مقارنا بينهما فقال: (. . . كما يتضح أيضاً التعريف الثاني الذي ذكرناه سابقا، وهو (تغلب ميل من الميول على الإنسان باستمرار، فإن هذا الميل الذي صار رغبة فإرادة هو الهيئة النفسية، وتغلبه باستمرار معناه أنه صار عادة وخلقا)[١٤] هذا وللفلاسفة الإسلاميين تعاريف أخرى للخلق.

قال ابن مسكويه: (الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية)[١٥]

وعرفه الإمام الغزالى بقوله (الخلْق والخلق عبارتان مستعملتان معاً، يقال فلان حسن الخلْق والخلق، أي حسن الباطن والظاهر، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة.

فالخلُق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً)[١٦].

وقد تناول رحمه الله التعريف السابق بالشرح فقال (وإنما قلنا انها هيئة راسخة لأن من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية، لا يقال خلقة السخاء

---

(١٢) د. محمود حمدي زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ص ٣١ ط دار القلم الكويت، الأستاذ أحمد أمين الأخلاق ص ٦٣ دار الكتاب العربي. ط، بيروت ١٩٧٤.

(١٣) د . محمد يوسف موسى: مذكرات في علم الأخلاق ص ٥٠، مقدمة في علم الأخلاق السابق ذكره ص ٣٠.

(١٤) د. محمد يوسف موسى : المرجع السابق ص ٥٣ . مطبعة شبرا ومكتبتها بالقاهرة ١٩٣٩م

(١٥) ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ص ٤١ ط ١ المطبعة الأدبية القاهرة ١٣١٧م

(١٦) الإمام الغزالي: احياء علوم الدين جـ٣ ص ١٤٤٠ بتصرف ط دار الفكر بيروت ١٣٥٦هـ.

والحلم.

فهـــنا أربعـــة أمـــــور:

أحدهـا : فعل الجميل والقبيـح، والثاني: القـدرة عليهما، والثالث : المعـرفة بهما، والرابـع: هيئة للنفس بها تميـل إلى أحد الجانبين، وتيسر عليها أحـد الأمرين: إمـا الحسن وإما القبيح.

وليس الخلق عبارة عـن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبـذل إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء.

وليس هو عبارة عـن القوة، لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء، بـل إلى الضدين واحدة وكـل إنسان خلق بـالفطرة قادراً على الإعطاء والإمسـاك، وذلك لا يوجـب خلق البخل ولا خلق السخاء.

وليس هـو عبارة عـن المعرفة، فـإن المعرفـة تتعلق بالجميـل والقبيح جميعـاً على وجه واحد، بـل هو عبارة عن المعنـى الرابع وهو الهيئـة التي بها تستعد النفس لأن يصـدر عنها الإمساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة[١٧] أهـ

يقول د/ عبدالستار نويـر (ورغم إيضاح الإمام الغزالى لتعريفه وهو شـامل لتعريف بن مسكويـه فلا زال الأمر بحاجة الى مزيـد من الايضاح والتحديد، ذلـك أن تلك (الهيئة الراسخـة) الواردة بالتعـريف ليست صفـة لكل جوانـب النفس، وإنما هي صفـة لجانب واحد هو جانب القصد والإرادة[١٨] وبهذا التحديد يتفق تعريف الغزالي وابن مسكويه مع التعريفين السابقين المذكورين لعلماء الأخلاق إذ يكون المراد من الهيئة الراسخة في الإرادة، هو نفـس (عادة الإرادة) وهو نفـس تغلب ميل مـن الميول على انسـان باستمرار ولـذا قال الدكتور / محمد يوسف موسى بعد أن ذكـر تعريف ابن مسكويه والغزالى وغيرهما (وهذه التعاريف وإن اختلفت ألفـاظها وعباراتها متفقة في معانيها ومـدلولاتها ولا تختلف جميعها عن التعريفين السابقين أول البحث)[١٩]

---

(١٧) المرجع السابق جـ٣ ص ١٤٤١.

(١٨) د. عبدالستار نوير: أصول الأخلاق في ضوء القرآن - بحث حولية كلية الشريعة جامعة قطر عدد ٨ سنة ١٩٨٩ ص ٣٩٥

(١٩) د. محمد يوسف موسى مذكرات في علم الأخلاق ص ٥٥ مرجع سابق.

بقى أمر آخر وهو تحديد نوع الأعمال الإرادية التي تتعلق بها وتصدرها هذه الهيئة الإرادية الراسخة فليست كل عادة أو هيئة إرادية تتعلق بأى نوع من الأعمال الاختيارية تسمى خلقا وإنما الذي يسمي خلقا هو تلك العادة أو الاستعداد الإرادى الذي يصدر أعمالاً اختيارية توصف بأنها خير أو شر. ومن هنا كان القيدان المذكوران جديرين بالاعتبار في تعريف الخلق وقد نبه على هذا الدكتور دراز بعد أن ذكر تعريف ابن مسكويه والغزالى ثم استخلص في النهاية التعريف الحقيقي التام فقال: (الخلق إذن هيئة أو صفة للنفس غير أن للنفس قوى مختلفة ووظائف متنوعة، فهناك ملكات الإدراك والتفكير والحكم، والتخيل، والتذكر، وهناك الوجدانات والانفعالات، وهناك الغرائز والنزعات، فإذا كانت هذه القوى النفسية كلها تصدر عنها آثارها في سهولة ويسر، هل يسوغ لنا أن نسمى شيئاً منها خلقاً؟ . . كلا

إذن نحن بحاجة إلى مزيد إيضاح وتحديد يتميز به حقيقة المقصود من هذه التسمية وينجلى بها الابهام الذي تنطوى عليه التعريفات السابقة.

فيقول رحمه الله إن الخلق صفة للنفس في جملتها ولكن في جانب معين من جوانبها وليس هذا الجانب هو جانب العقل والمعرفة، ولا جانب الشعور والعاطفة، وإنما هو جانب القصد والإرادة.

ويضيف رحمه الله تقييد آخر فيقول: إن الخلق يتعلق بنوع خاص من الأهداف الإرادية وهي تلك الأهداف التي ينشأ عن اختيارها وصف يعود على النفس بأنها خيرة أو شريرة، ثم يقول من هاتين الخاصتين نستطيع أن ننظم التعريف التالى: (الخلق هو قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح (في جانب الأخلاق الحميدة) أو إلى اختيار ما هو شر وجور (في جانب الأخلاق الذميمة) هكذا تتميز الحقيقة الخلقية عما عداها من الصفات النفسية.)[٢٠].

هذا وقد ورد لفظ (خلق) في القرآن الكريم مرتين لفظا ومعنى وإن كان القرآن الكريم كله مليئاً بمبادىء الأخلاق السامية التي ترتبط بالعقيدة الصحيحة كما ترتبط

(٢٠) د. محمد عبدالله دراز: دراسات إسلامية ص ٨٧ ط ٢ دار القلم الكويت سنة ١٩٧٤.

بالعقيدة الصحيحة كما ترتبط بالوجه الآخر للتشريع .

١ - الأولى في قوله تعالى ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٢١] وقد وردت هذه الآية في سياق آيات أخرى[٢٢] من أجل تقبيح خلق الجبابرة الظالمين .

فقد أرسل الله تعالى نبيه (هودا) عليه السلام الى قبيلة (عاد) وهي من القبائل العربية البائدة المتفرعة من أولاد (سام بن نوح) و(عاد) اسم لأحد أجدادها .

وكانت هذه القبيلة تسكن أرض الأحقاف جهة اليمن من جنوب الجزيرة العربية، وموضع بلادهم اليوم قفر - ليس بها سمير ولا أنيس بعد أن كان موطنا للعمران والنعيم المقيم .

وهم قوم من العمالقة - أشداء أقوياء زادهم الله تعالى بسطة في الجسم تهتز الأرض تحت أقدامهم أثناء سيرهم[٢٣] ، ومن مظاهر الترف عندهم قصور فخمة شامخة، وعيون جارية، بساتين مزهرة نضرة ، وحصون منيعة وقلاع حصينة وكلها لمجرد التباهي بالمقدرة والثراء وللغرور والغفلة عن تقوى الله عز وجل وكانوا أصحاب أصنام وأوثان وهم أول من عبدها بعد الطوفان كما أنهم قوم عتاة غلاظ يتجبرون حتى يبطشون ولا يتحرجون من القسوة في البطش كما هو في سياق أخلاقهم المأخوذ من الآية الكريمة في معرض الحديث عنهم ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾[٢٤] وقد استمر هود عليه السلام في وعظهم مذكراً بتقوى الله والخوف منه سبحانه، ولم يفته أن يعلن الزهد فيما لدى القوم من عرض الحياة الدنيا، وأن يترفع عن قيم الأرض الزائلة مع التطلع إلى ما عند ربه من أجر كريم، وقد عاندوا هذه الدعوة الكريمة محتجين بحجة واهية هى أنهم سائرون على نهج الأولين، لكن الأمر ينتهي في كلمتين ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾[٢٥] .

لقد حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنوات نتيجة لسوء خلقهم وهبت عليهم

---

(٢١) سورة الشعراء - ١٣٧ .
(٢٢) سورة الشعراء ١٢٣ - ١٤٠ .
(٢٣) انظر الصابوني : النبوة والأنبياء ص ٢٢٥ وما بعدها ط ٢- ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م مكة المكرمة .
(٢٤) سورة الشعراء الآية ١٣٠
(٢٥) سورة الشعراء الآية ١٣٩

الريح العقيم فسلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما[٢٦] ، حتى صارت أجسادهم كأنها أعجاز نخل خاوية .

وكم من أمة بعد (عاد) ظلت تفكر على هذا النحو ، وتغتر هذا الغرور ، وتبعد عن الله كلما تقدمت في الحضارة ، وتحسب أن الإنسان أصبح في غنية عن الله ، وهي تنتج من أسباب الدمار لغيرها ، والوقاية لنفسها ، ما تحسبه واقيا لها من أعدائها ثم تصبح وتمسى فإذا العذاب يصب عليها من فوقها ومن تحتها من أى طريق (إن في ذلك لآية)[٢٧] .

٢ - الآية الأخرى في قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢٨] .

وفيها وصف الله تبارك وتعالى نبيه محمدا (ﷺ) بالعظمة الأخلاقية وهو وصف لم يرد لأى إنسان آخر بهذه الصورة وفي الآية الكريمة لفت لأنظار الناس إلى أن مبلغ هذه الرسالة الخالدة ليس إنساناً عادياً وإنما هو مؤهل بأجل الأخلاق .

ويستفاد من نزول الأية في أول ما نزل من سور القرآن الكريم أن أساس الإسلام هو الأخلاق وماكانت التشريعات الإسلامية التي حددها الإسلام في الكتاب والسنة إلا لحمايتها ، وقد أبرز القرآن الكريم عنصر الأخلاق للنبي (ﷺ) كرد فعل للاستهزاء به مع القلة والضعف وإن سيرته الواقعية لأعظم دليل على خلقه العظيم[٢٩] .

ومن أجمل الأخلاق أن يظل محمد (ﷺ) ثابتاً متواضعاً بعد هذه الشهادة الصادرة من الخالق جل جلاله .

وعلى المسلمين بمقتضى هذه الشهادة النابعة من القرآن الكريم أن يتخذوه (ﷺ) أسوة حسنة لأنه بلغ القمة في الكمال الأنساني ، كما كان اهتمامه بالجانب الأخلاقي لأنه مرتكز رسالته ، والغاية من إنعام الله تعالى بها على الناس ولهذا فإن الأخلاق في الإسلام ترتكز على الدين نفسه بخلاف الأخلاق في المذاهب الأخرى .

---

(٢٦) أى شؤما أو متتابعة .

(٢٧) انظر الشهيد سيد قطب : في ظلال القرآن جـ ٦ ص ٢٦١٠ ط ٧ - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م دار الشروق - القاهرة

(٢٨) سورة القلم الآية ٤ .

(٢٩) انظر د . عبداللطيف العبد : الأخلاق في الإسلام ص ١٣ - ١٥ بتصرف ط ٢ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ القاهرة

* العلاقة بين الإسلام والخلق :

بالنظر إلى الدين من حيث هو معرفة الحق الأعلى وتوقيره، وإلى الخلق من حيث هو قوة النزوع الى فعل الخير وضبط النفس عن الهوى تبين لنا أن هناك حقيقتين مستقلتين يمكن تصور إحداهما بدون الأخرى تختص أولاهما بالفضيلة النظرية والثانية بالفضيلة العملية.

غير أنه لما كانت الفضيلة العملية يمكن أن تتناول حياة الإنسان في نفسه وفي مختلف علائقه مع الخلق ومع الله كان القانون الأخلاقي الكامل هو الذي يرسم طريق المعاملة الإلهية كما يرسم طريق المعاملة الإنسانية، وكذلك لما كانت الفكرة الدينية الناضجة هي التي لا تجعل من الألوهية مبدأ تدبير فعال فحسب بل مصدر حكم وتشريع في الوقت نفسه، كان القانون الديني الكامل هو الذي لا يقف عند وصف الحقائق العليا النظرية، وإغراء النفس بحبها وتقديسها بل يمتد الى وجوه النشاط المختلفة في الحياة العملية فيضع لها المنهاج السوى الذي يجب أن يسير عليه الفرد والجماعة، وهكذا يصل القانون الديني إلى بسط جناحيه على سائر القوانين المنظمة لعلاقات الأفراد والشعوب بحيث يجعلها جزءاً متمماً لحقيقته ويصبغ كل قواعدها بصبغة القدسية ومنها علم الأخلاق كله، فيصبح اتباع الفضائل الفردية والإجتماعية باباً من أبواب القربات والعبادات الإلهية ونوعاً من الطاعة لأوامر الدين والانقياد لداعي الفطرة السليمة.

ولذلك تكاد لا تخلو حقيقة التدين عن عنصر عملى يكون حلقة الاتصال بين الدين والأخلاق ويتحقق ذلك على الأقل في جانب العبادات، لكن هذا المظهر قد تتناقص حقيقته وتتضاءل صورته حتى يصبح كلمة تعبر عن الحيرة والعجز في التماس طريق التوجه الى ذلك السر الهائل وإن دين الحنفاء بين عرب الجاهلية لهو أوضح مثال لهذه الحقيقة. فقد ذكر ابن هشام عن أحد الحنفاء وهو زيد بن عمرو بن نفيل قوله وهو مسند ظهره إلى الكعبة (اللهم إنى لو كنت أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه)[٣٠] لكن السؤال الذي يفرض نفسه - ما مدى العلاقة بين كلمتى الدين والخلق؟.

---

(٣٠) ابن هشام : السيرة النبوية - جـ ١ ص ١٤٤ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد - القاهرة كتاب التحرير ١٣٨٣هـ.

إن بين الكلمتين من المرونة في التداخل تارة والاستقلال تارة أخرى ما يجعل من العسير تحديد المراد من كلتيهما بصفة حاسمة لأنهما تخضعان في الاستعمال للقاعدة المعروفة في الكلمات العربية التي من أسرة واحدة مثل (الإيمان والإسلام) و(الرأفة والرحمة) و(البر والتقوى) وغيرها. والمعنى أن هذه الكلمات التوائم كلما اجتمعت في العبارة افترقت في المعني وكلما افترقت في العبارة اجتمعت أو مالت إلى الاجتماع في المعني بقدر الإمكان فإذا قلنا فلان ذو (خلق ودين) وجب للخلاص من عيب اللغو والتكرار أن تؤدى كل من الكلمتين معنى مستقلا منعزلاً تماماً عن الآخر بحيث يختص الدين بالجانب الإلهى والخُلق بالجانب الإنساني.

أما إذا اكتفينا بقولنا فلان ذو (دين) لزم اشتمال الدين لمعنى الأخلاق ومعنى ذلك القيام بالفروض الإلهية والواجبات الإنسانية، وليس معنى ذلك أن تصبح كلمة الخلق مرادفة تماماً لكلمة الدين لأن هذه لا تزال تمتاز بعنصر نظري جوهري لا يمكن سقوطه أو تناسيه ذلك هو عنصر المعرفةبالإله والإيمان به وهو عنصر لا يدخل في حقيقة مفهوم الأخلاق لأنها دائماً ذات طابع عملي، واعتمادها على الدين والإيمان اعتماداً على دعامة ووسيلة لا على جزء متمم لحقيقتها يمكنها الاستغناء عنه ببواعث مختلفة ومتنوعة[٣١]. ولذلك يقول العالم الطبيعي الأمريكى (روبرت ميلليكان) (إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق ولقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب العامة وإذا لم نجتهد الآن لإكتسابه أو لتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية)[٣٢].

من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة وكان ذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية ، فالأديان هي الدافع القوى لتهذيب السلوك وتصحيح المعاملة وتطبيق قواعد العدل ومقاومة الفوضى والفساد كما انها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم والأخوة لا يعد له رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الحوار أو المصالح المشتركة ولذلك تباينت غاية الإسلام في الأخلاق عن غاية الفلسفات التي دعت الى السعادة كما تباينت مع غاية العقائد التي دعت الى الزهد،

---

(٣١) د . محمد عبدالله دراز : الدين ص ٥٥ - ٥٨ بتصرف ط ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ مطبعة السعادة القاهرة.

(٣٢) المشير أحمد عزت باشا : الدين والعلم ص ١٧٣ نقلا عن الدين (المرجع السابق) ص ١٠٣ .

ذلك لأن الإسلام قد ربط الأخلاق بالدين وجعلها سداً منيعاً في وجه الانحلال والفساد للفرد والانهيار للمجتمعات، وأقام العلاقة الصحيحة بين الإنسان ونفسه وبينه وبين مجتمعه وجعلها وسيلة إلى إصلاح الحياة الدنيا وإلى الجزاء فى الآخرة قال تعالى ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٣٣].

وقاعدة الإسلام الأخلاقية أنه لا يمنع الإنسان شيئاً من رغباته ولكنه يحميه منها بأن يضعها في قوالب ويضع لها ضوابط وخاصة فيما يتعلق بالطعام والمال والجنس[٣٤] فيعمل على الموازنة بين عقله وقلبه وبين حاجاته وغاياته وبين روحه وجسده في سبيل الوصول الى الغاية العليا وهي ترقية الحياة والارتفاع بالإنسان إلى الصورة الكريمة التي تليق به.

* مدى ارتباط الخلق بالعقيدة :

للأخلاق القرآنية محل رفيع ومكان فسيح فهي تتسع لكل عمل إرادى ونشاط إنساني كريم لأن قانون هذه الأخلاق قد رسم منهج السلوك للإنسان في جميع مجالات حياته وعلاقاته في شتى النواحي الفردية والإجتماعية يقول الدكتور دراز (لا نكتفي بأن نقول إن هذا القانون لم يدع للنشاط الإنساني في ناحيته الفردية والإجتماعية مجالاً حيوياً أو فكرياً أو أدبياً أو روحياً إلا رسم له منهجاً للسلوك وفق قاعدة معينة بل نقول إنه تخطى علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته ببنى جنسه، فشمل علاقته بالكون في جملته وتفصيله، ووضع لذلك كله ماشاء الله من الآداب المرضية والتعاليم السامية وهكذا جمع ما فرقه الناس باسم الدين وباسم الفلسفة ثم كان له عليهما المزيد).

وبناء على هذا تشمل أخلاق القرآن العقيدة والعبادة لأنها تدخل في نطاق علاقة العبد بربه، وهي أقدس العلاقات وأولاها بالتوجيه والتنظيم والعناية)[٣٥].

ومما يؤكد ارتباط الخلق بالعقيدة الدينية رباطاً وثيقاً ما ورد أن رجلاً جاء إلى رسول

---

(٣٣) سورة القصص الآية ٧٧.

(٣٤) انظر الأستاذ أنور الجندى : الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٨١ - ١٨٣ بتصرف ط ١ - ١٩٧٤م بيروت.

(٣٥) د. محمد عبدالله دراز: دراسات إسلامية ص ١١١ ط ٢ دار القلم الكويت ١٩٧٤م

الله (ﷺ) فقال يارسول الله ماالدين؟ فقال الرسول (ﷺ): (حسن الخلق)[٣٦] ومعناه أن حسن الخلق ركن عظيم في الإسلام ولذا ورد عن ابن القيم رحمه الله قوله (الدين هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)[٣٧] غير أن الدين لا يقف عند حد الدعوة الى مكارم الأخلاق وتمجيدها بل هو الذي يرسى قواعدها ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك، ثم يعزى بالاستقامة، ويحذر من الانحراف، ويضع الأجزية مثوبة وعقوبة على كلا السلوكين نصب العين، وقد أثر عن الزعيم الهندى (غاندى) قوله: (إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال ولا يفترقان بعضهما عن بعض فهما وحدة لا تتجزأ. إن الدين كالروح للأخلاق وبعبارة أخرى إن الدين يغذى الأخلاق، وينعشها وينميها كما أن الماء يغذى الزرع وينميه[٣٨]) فبدون العقيدة الدينية لا يمكن أن تكون هناك أخلاق وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون لأن الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان بمثل أعلى يتطلع إليه ويعمل له، ويربى فيه الضمير الحى الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق.

ومن هنا كان الإنسان الذي ليس له عقيدة دينية لا غاية لوجوده ولا رسالة له في الحياة، أما المؤمن فإنه يعمل لهدف رفيع ويعيش لرسالة كبيرة هي القربي إلى الله والسعى في مرضاته والتخلق بأخلاقه واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . . **الخ قوله تعالى:** وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾[٣٩] وهذا هو المثل الأعلى للمؤمن، ولذا كان الإيمان والصلاح والأخلاق عناصر متلازمة لا يستطيع أحد تمزيق عراها، فالأخلاق موصولة بالإيمان وتقوى الله قال تعالى: ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[٤٠].

وفي الحديث الشريف (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)[٤١] فالإيمان

---

(٣٦) أخرجه محمد بن نصر المروزى من رواية أبى العلاء بن الشقير مرسلا - محمد جمال الدين القاسمى - موعظة المؤمنين جـ ٢ ص ٢٦٦.

(٣٧) ابن القيم: مدارج السالكين جـ٢ ص ٢٠٧ ط السنة المحمدية.

(٣٨) راجع د. يوسف القرضاوى الإيمان والحياة ص ٢٠٨ - ٢١١ بتصرف ط ٤ مؤسسة الرسالة ١٩٧٩.

(٣٩) سورة آل عمران الآية ١٤ - ١٧.

(٤٠) سورة التوبة الآية ٤.

(٤١) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ١ / ٣، ١٣٥، ١٥٤.

لابد أن يورث الأخلاق الحسنة وعلى رأسها الأمانة وحفظ العهد فمن فقد الأمانة وضيع العهد كان ذلك إيذاناً بخلوه من معاني الإيمان المطلوبة منه وتفريطه في تقوى الله[٤٢]. وفي حديث آخر (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يارسول الله؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه)[٤٣] وفيه دلالة على أن الأخلاق السيئة تنافي الإيمان وتناقضه وأنه لا يجتمع الإيمان والخلق الردىء والإيمان باعتباره عملاً إراديا يصير ملكة وخلقاً بالعمل بموجبه والمداومة عليه يشير إلى هذا قول الدكتور دراز في تفاوت الإيمان فيقول (وأما تفاوته من طريق ثمرته وهي العمل فبيانه أن الفكرة النظرية التي تأخذ آثارها العملية تبقي ماثلة في الوجدان لا تزاحمها الأضداد، ولا يغطى عليها النسان لأنها حاضرة غالباً في مركز الفكر أو كما يقول علماء النفس في بؤرة الشعور، فهي تستمد من العمل بها قوة وثباتاً وإشراقاً حتى تصبح للنفس ملكة وخلقاً وكذلك يستمد منها العمل سهولة ويسرا عند العودة إليها مرة أخرى وهكذا كلما ازداد تكرار العمل بمقتضى تلك الفكرة ازدادت قوة في نفسها واستعدادا لإنتاج أمثاله من الأعمال بدون تكلف وازداد العمل لصوقا بالنفس حتى يكون انتزاعه ومفارقته أشبه بانتزاع الغرائز ولذلك قيل (العادة طبيعة ثانية) وبعكس ذلك من كثر تهاونه بتطبيق العلم على العمل نقص من قوة علمه وثبات عقيدته بمقدار تهاونه بالعمل وتضييعه له)[٤٤].

فإذا تمت الرذائل في النفس وتفاقم خطرها انسلخ المرء من دينه وعقيدته وأصبح ادعاؤه للإيمان زورا وبهتاناً فما قيمة دين بلا خلق؟ وتقريراً لهذه المبادىء الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم قال (ﷺ) (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إنى مسلم) (اذا حدث كذب واذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)[٤٥] ولذا كان من مشروعية التكرار في العبادات أن يتعود المسلم على الأخلاق الفاضلة ويتجنب الرذائل والمفاسد فهي له طهرة وزكاة وقوة ووقاية والقرآن الكريم يكشف بوضوح عن هذه الحقائق فيؤكد الحكمة التي من أجلها أمر الله بإقامة الصلاة فقال ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ

---

(٤٢) د. عبدالكريم زيدان : أصول الدعوة ص ٨٦ ط ٣ دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية ١٩٧٦.

(٤٣) رواه البخاري - كتاب الأدب جـ ٢ ص ١٢ وأخرجه مسلم من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ : (ولا يدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه) كتاب الإيمان جـ ١ ص ٢٢١.

(٤٤) د. محمد عبدالله دراز : المختار من كنوز السنة ص ١٠٢.

(٤٥) رواه مسلم كتاب الإيمان باب خصال المنافق جـ ١ ص ٧٨، مسلم بشرح النووي جـ٢ ص ٤٦، ٤٧.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٤٦] فالإبعاد عن الرذائل والتطهير من سوء القول وسوء العمل هو حقيقة الصلاة، والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب بل هي أولا غرس لمشاعر الحنان والرأفة وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات.

وقد نص القرآن الكريم على الغاية من إخراج الزكاة بقوله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤٧] فتنظيف النفس من أدران النقص، والتسامي بالمجتمع الى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى، وكذلك شرع الإسلام الصوم فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة. وإقرارا لهذا المعنى قال الرسول (ﷺ) (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[٤٨] والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤٩]، والحج تربية عملية للروح ورياضة مؤثرة في النفس ووسيلة فعالة لاكتساب كثير من الأخلاق والتخلص من كثير من ذميم الصفات قال تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٥٠] ومن العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام وعرفت على أنها أركانه الأصيلة نستبين منه متانة الأواصر التي تربط الدين بالخلق، ولكنها ليست كل العبادات في الإسلام، فالإسلام يوسع دائرة العبادة حتي تشمل كل حركة الحياة، فكل عمل في خدمة الحياة يعمله الإنسان امتثالا لأوامر الله تعالى فهو عبادة وكل عمل يتركه الإنسان امتثالاً لأمر الله فهو عبادة ومن ثم تشمل العبادة بمعناها الواسع حركة الحياة كلها إذا تمت هذه الحركة وفق منهج الله وابتغى بها رضاه مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥١] فالعبادات في الإسلام هي مدارج الكمال المنشود وروافد التطهر الذي

---

(٤٦) سورة العنكبوت الآية ٤٥.
(٤٧) سورة التوبة الآية ١٠٣.
(٤٨) رواه البخاري كتاب الصوم جـ٣ ص ٦١، الإمام أحمد في مسنده جـ ٢ / ٤٥٣.
(٤٩) سورة البقرة الآية ١٨٣.
(٥٠) سورة البقرة الآية ١٩٧.
(٥١) سورة الأنعام الآية ١٦٢.

يصون الحياة ويعلى شأنها ولهذا أعطيت منزلة كبيرة في دين الله فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكى قلبه وينقى لبه ويوثق صلته بالله وبالناس فقد ضل ضلالاً مبيناً[٥٢].

ومرد الأمور كلها في ذلك لله هو المرجع الذي يرجع إليه في كل أمر ودستوره هو الدستور الأخلاقي الذي يستشار في كل لحظة !يستشار في داخل القلب، وفي وعي العقل، وفي واقع السلوك بما يؤكد وحدة الإسلام في كل مقوماته الذاتية لأنه هو القاعدة الرئيسية للتربية الخلقية.

* منزلة الأخلاق في الإسلام:

تتبوأ الأخلاق في الإسلام المكانة السامية والمنزلة الرفيعة فهي قاعدة السعادة في الأولى والآخرة ولا يتصور أن يسعد المرء بدونها ولا أن يصلح حاله ولا حال مجتمعه بغيرها وعن طريقها يكمل شأن الإنسان ويسمو بطباعه وعاداته حتى يحقق النجاح والشرف والكمال فينعكس على مجتمعه بالألفة والمحبة والبر والهدى فهي قاعدة الأمة في أداء رسالتها ووسيلتها في الخلاص من أدوائها ومشكلاتها وتتضح قيمة الأخلاق بما يأتي: -

١ - تعليل البعثة المحمدية بإتمام القيم الفاضلة والأخلاق العالية وإشاعة مكارم الأخلاق كما جاء في حديث النبي (ﷺ) قوله : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٥٣].

٢ - التعريف للدين بحسن الخلق فقد ورد في الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي (ﷺ) فقال: يارسول الله . مالدين؟ فقال الرسول (ﷺ) (حسن الخلق)[٥٤] وهذا معناه أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي لا قيام للدين بدونه.

٣ - إن حسن الخلق من أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الجزاء فقد جاء في الحديث

---

(٥٢) الشيخ محمد الغزالي : خلق المسلم ص ٨ - ٩ ط ٨ حسان بالقاهرة ١٩٧٤ .

(٥٣) الحديث رواه البخاري في الأدب والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرك وصححه وقال ابن عبدالبر حديث متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. ورواه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) المسند جـ٢ ص ٣٨١، وفي الموطأ برقم ١٦٣٤ عن مالك أنه بلغه أن رسول الله (ﷺ) قال: (بعثت لأتمم حسن الأخلاق) ورواه الحاكم وصححه. والمعنى أنه (ﷺ) إنما أرسل ليكمل الناقص ويجمع المتفرق منها لا لشيء آخر.

(٥٤) أخرجه محمد بن نصر المروزى من رواية أبي العلاء بن الشفير مرسلا - محمد جمال الدين القاسمى: موعظة المؤمنين جـ٢ ص ٢٦٦ .

الشريف عن النبي (ﷺ) (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء)[٥٥]

٤ - المؤمنون يتفاضلون في الإيمان وأفضلهم فيه أحسنهم أخلاقاً كما جاء في الحديث الشريف (قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضل إيمانا؟ قال: أحسنهم خلقا)[٥٦].

٥ - إن المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله (ﷺ) وقربهم منه يوم القيامة وأكثر المؤمنين ظفرا بحب رسول الله (ﷺ) والقرب منه أولئك المؤمنون الذين حسنت أخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم كما ورد عن النبي (ﷺ) (إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)[٥٧].

٦ - لابد للفوز بالجنة والنجاة من النار أن يتخلق المؤمن بمحاسن الأخلاق فهو أمر محتم وشرط لازم، والتفريط فيه لا يغنى عنه حتى الصلاة والصيام لما روى أن بعض المسلمين قال للرسول (ﷺ) إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال: (لا خير فيها هي من أهل النار)[٥٨].

٧ - ثبت عن النبي (ﷺ) أنه كان كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال لله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق. وهو ذو الأخلاق الحسنة فكان (ﷺ) يقول في دعائه (اللهم حسن خلقى وخلُقى)[٥٩].

ومن المعلوم أن الرسول (ﷺ) لا يدعو إلا بما يحبه الله ويقربه منه.

٨ - مدح الله تعالى رسوله الكريم (ﷺ) بحسن الخلق فقد جاء في القرآن الكرقم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦٠].

---

(٥٥) رواه أبو داود في سننه وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها - حديث حسن - انظر المناوي: فيض القدير رقم ٢٠٩٨.

(٥٦) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا..) الحديث ١١٦٢ وأخرجه أبو داود والنسائى والحاكم، وأخرجه الطبراني من حديث أبى أمامة (أفضلكم ايماناً..) وأخرجه الإمام أحمد جـ٢ / ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧) وأخرج من حديث جابر بن سمرة: (إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام وإن حسن الناس إسلاما احسنهم خلقاً) المسند جـ٥ ص ٨٩، ٩٩.

(٥٧) رواه الترمذي عن جابر وقال حديث حسن - سنن الترمذي جـ٤ / ٢٠١٨.

(٥٨) رواه الإمام أحمد من حديث طويل لأبى هريرة - المسند جـ٢ ص ٤٤٠ وأخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة، وقال صحيح الإسناد.

(٥٩) رواه الإمام أحمد من حديث عبدالله بن مسعود أن رسول الله (ﷺ) كان يقول (اللهم أحسنت خلقى فأحسن خلُقي) جـ١ ص ٤٠٣، وروى نحوه من حديث عائشة أم المؤمنين: جـ٦/ ٦٨، ١٥٥.

(٦٠) سورة القلم الآية ٤.

والله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم مما يدل على عظمة منزلة الأخلاق في الإسلام.

٩ - ما ورد في القرآن الكريم من الآيات الكثيرة المتعلقة بموضوع الأخلاق أمراً بالجيد منها، ومدحاً للمتصفين به، ونهياً عن الردىء منها، وذم المتصفين به، ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق يدل على أهميتها، ومما يزيد في هذه الأهمية أن هذه الآيات منها ما نزل في مكة قبل الهجرة ومنها ما نزل في المدينة بعدها مما يدل على مكانة الأخلاق وأهميتها فلا يمكن الاستغناء عنها بتاتا، وأن مراعا ة الأخلاق يلزم المسلم في جميع الأحوال، فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن الكريم بها في سوره المكية والمدنية على حد سواء[٦١].

والقرآ ن الكريم منبع فياض للتربية الأخلاقية فجل القرآن إن لم يكن كله جاء لتربية الإنسان وتوجيهه نحو الخير ومن يتلو القرآن باستمرار تلاوة متيقظ طالب للهداية متدبر لما فيه من أحكام وتوجيهات يجد فيه قوة روحية عظيمة كلها تعاليم أخلاقية بالمعنى الشامل، هذا إذا نظرنا إلى القرآن كعلم من الناحية النظرية، أما إذا نظرنا إليه من ناحية التطبيق وجدنا أنه أسمى أنواع السلوك الأخلاقى لأنه هو الصورة العملية لتوجيهاته العلمية.

أما اذا نظرنا إلى اعتياده والتخلق به بمعنى التطبع به وجدناه أعظم الأخلاق وأكرم الشيم ولذلك كان خلق رسول الله (ﷺ).

* أساليب القرآن في تهذيب الأخلاق:

للقرآن الكريم طريقته المثلى وأساليبه المتنوعة التي يهدف من خلالها إلى تذكير الإنسان بالتمسك بالفضيلة، والبعد عن الرذيلة بالعظة البليغة، والتوجيه التربوي الرشيد أملاً في صلاح الفرد فتسعد الأمة وتستقر المجتمعات الإنسانية بكاملها ومن الأساليب القرآنية مايأتي:

---

(٦١) انظر: د/ عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة ص ٧٦ - ٧٨ بتصرف ط ٣ دار عمر بن الخطاب اسكندرية ١٩٧٦م.

* أولاً : الوعـــظ والإرشـــاد :

الـوعظ لغـة : هو والعظة والموعظـة بمعنى النصح والتذكير بالعواقـب سواء أكان بالاستمالة والترغيـب أم بالزجر والترهيـب. قال ابن سيده: هـو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب يقال وعظته فاتعظ إذ أثرت فيه الموعظة وأفادته[٦٢].

وفى الاصطلاح: يطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيمانا وهداية[٦٣].

أمـا الإرشـاد لغـة: فهو الـرشاد والـرشد بضـم الراء والـرشد بفتحـات : الهداية والاستقامة على طـريق الحق مع تصلب فيـه، يقال استرشد الشخص إذا طلـب الرشد أو اهتدى[٦٤].

أما فى الاصطلاح: فهو الهداية إلى الطريق الموصل إلى المطلوب[٦٥].

وقد يطلـق الوعـظ والإرشاد في عـرف الخطباء والأدبـاء على الخطابـة الدينيـة سواء أكانـت تعليمية لبيان المسـائل الشرعية الاعتقادية أو العمليـة أو الخلقية أم تأديبيـة لإيقاظ الناس من غفلتهم بالتذكير والإنذار.

وإجمالاً: فالوعظ هـو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الـذي يرق له القلب ويبعث على العمـل. والإرشاد : الحث على الخير والتحـذير مـن الشر على الوجـه المتقدم وهو الترغيـب والترهيب. والتـذكير: تعريـف الخلق نعـم الله عليهم وحثهـم على شكره وتحذيرهم من مخالفته[٦٦] والتذكر: يقال على الاتعاظ ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[٦٧] وقوله ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[٦٨] ومثله الادكار ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٦٩] وقد

---

(٦٢) ابن منظور: لسان العرب مادة وعظ ط دار لسان العرب بيروت ١٩٥٥.
(٦٣) الشيخ على محفوظ : هداية المرشدين. ط ٩ دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩.
(٦٤) الفيروز أبادى: القاموس المحيط ط ٢ مصطفي الحلبي وأولاده ١٩٥٢ مادة رشد.
(٦٥، ٦٦) هداية المرشدين - مرجع سابق ص ٧١، ٧٢.
(٦٧) سورة غافر الآية ١٣.
(٦٨) سورة الأعلى الآية ١٠.
(٦٩) سورة القمر ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١.

يطلق الوعظ ويراد منه استثارة المشاعر الدينية بكل ماينبهها من رقدتها لتنبعث إلى عمل الخير وإلى الثبات على الحق قال تعالى ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٧٠) وقال: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾(٧١).

* أسلوب الموعظة في القرآن الكريم:

بالتأمل في آى الذكر الحكيم نستخلص أن الوعظ والإرشاد مهنة الأنبياء مع أممهم، به يهدفون الى تغيير ما بنفوسهم حتى يغير الله ما بهم من فساد، وكل وعظ لا يبلغ هذا الهدف ولا يرمى إلى هذه الغاية، فهو جهد ضائع وعمل باطل، ومن خلاله قدم الأنبياء العلاج الملائم لإرشاد النفوس، وأقرب الطرق للتأثير على القلوب، ورسل الله جميعاً عملوا جاهدين للوصول إلى هذه الغاية وتنوعت أساليبهم في الوعظ والإرشاد تبعاً لاختلاف الأمراض الاجتماعية وتنوع الأحوال والأسباب ويمكن حصر أسلوب الموعظة في القرآن الكريم فيما يأتى: -

١ - الترغيب:

ويقصد به كل ما يشوق العباد إلى الاستجابة لداعى الله وقبول الحق والثبات عليه والملاحظ أن القرآن الكريم يكثر من ترغيب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها مما يدل على أهمية هذا الأسلوب. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة وهذا هو نهج الرسل الكرام وإلى الترغيب يشير قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(٧٢) كما أن الوعد بالخير يشمل نعم الدنيا والآخرة وسعادتها قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٧٣) من أجل ذلك كان وعد الله بالمثوبة على ما يقدم الإنسان من خير أو يسدى لغيره من معروف أو يؤدى به حقاً لله عليه ويأتي في صورتين: -

---

(٧٠) سورة آل عمران الآية ١٣٨.
(٧١) سورة البقرة الآية ٢٣١.
(٧٢) سورة الإسراء الآية ٩.
(٧٣) سورة النحل الآية ٩٧.

الأولى : صورة الجزاء العاجل كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . إلى قوله وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾(٧٤) والأمن في الدنيا بالنصر والتمكين، وفي الآخرة بالرضا والنعيم المقيم .

الثانية : صورة الجزاء الآجل فيما يستقبله يوم القيامة حين تتلقاه الملائكة مع إخوانه بالبشرى قائلة ﴿ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٧٥) ويجمع الصورتين قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾(٧٦) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا . . إلى قوله نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾(٧٧) والآيات في هذا الباب كثيرة كالترغيب في طاعة معينة وفي أنواع الفضائل وفي إتقان العمل وزيادة الإنتاج . . الخ .

٢ - الترهيب :

وهو يعني كل ما من شأنه حمل الإنسان على البعد عن المعاصي صغيرها وكبيرها فضلاً عن اقترافها والتردي فيها والأصل فيه أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة كما في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٧٨) والترهيب والوعيد يشمل نعم الدنيا والآخرة وشقاءهما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(٧٩) وما أكثر ما ورد في كتاب الله من الآيات التي تحذر من المعصية وتذكر بعاقبة ذلك من غضب الله وانتقامه . وكذا الآيات التي تحذر من العقوبة على آحاد الذنوب كالقتل والزنا والسرقة . . الخ وكذا تذكير الإنسان بأن ما يبتلى به سببه اقتراف السيئات قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾(٨٠) ... وهكذا .

---

(٧٤) سورة النور الآية ٥٥ .
(٧٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٣ .
(٧٦) سورة النحل الآية ٣٠ .
(٧٧) سورة فصلت الآية ٣٠ .
(٧٨) سورة الإسراء الآية ١٠ .
(٧٩) سورة طه الآية ١٢٤ .
(٨٠) سورة الشورى الآية ٣٠ .

* أنواع الموعظة: الموعظة نوعان: تعليم ، وتأديب:

* الأول : التعليـــــم:

ويكـون ببيان عقيـدة التـوحيـد والأحكام الشرعيـة الخمسـة مـن الواجـب والحرام والمسنون والمكروه والمبـاح فضلا عن أنها وسيلة للعلم بما تتضمنه فـإنها دعوة الى التمسك بها والتحذير من التهاون فيها، وكذا في بـاب المعاملات كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ . . **الآية**﴾[٨١] وفيها يبين الله الأحكام المتعلقة به ويتبع ذلك ببيان ما ينفر منه مع الترغيب في التـوبة عند الزلـل والحرص على الطهارة ، وفي قوله سبحـانه ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾[٨٢] يأمر في نهايتها بالتقوى ويحذر من فعل ما نهى الله عنه في قوله جل شأنه ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ ﴾ أي فى موضع الحرث ﴿ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴾ أي ماينفعكم عند لقاء ربكم ويثيبكم عليه وقوله ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي الذين يقفون عند حدود الله ويهتدون بهديه، وفي هذا النوع من الموعظة تبصير بحكمة الله في أمره ونهيه حين وجه الرجال إلى أن النساء مـوضع الحرث ومنجبة الذريـة وأمر بالتزام الطـريق الأمثل فى إتيانهن كما حـذر من المخالفة، فأنذر من العاقبة السيئة التـي تنتظر المخالف، وبشر من استجاب لداعى الإيمان فأتمر بأمر الله واجتنـب نواهيه وهكذا في جميع الشرائع، وإن نشر مفاهيـم الإسلام واجب على كل مسلم فمن كان عنده علم فلا يجوز كتمانه كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[٨٣] لا سيما عند شيوع الجهل وظهور البدع[٨٤] يقول ابن كثير (فالواجب على العلماء الكشف عـن معانى كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه وتفهمه وتفهيمه)[٨٥] والواجب أن يقترن العلم بالتطبيق اقتداء بمنهج السابقين الأولين يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنـه: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعـرف معانيهن والعمل بهن)[٨٦] وهذا أمـر ضرورى لا غني للمسلم عنه لأن من يتعلم ولا يعمل بعلمه يكـون عرضـة للانقلاب والانـزلاق عند أول

---

(٨١) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .

(٨٢) سورة البقرة الآية ٢٢٣ .

(٨٣) سورة آل عمران الآية ١٨٧ .

(٨٤) د. عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة ص ٤٢٦ ط ٣ دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر - اسكندرية - مصر ١٩٧٦، الشيخ ابراهيم الدسوقي: الدعوة الإسلامية علماً وعملاً. ط وزارة الأوقاف عدد ١٨ - ١٩٨٧م.

(٨٥ ، ٨٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٣.

فتنة أو ابتلاء وما أكثر فتن الدنيا وابتلاءاتها قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ . . **الخ الآية**﴾[87] .

*** الثاني : التأديـــــــب :**

وهو النوع الثاني من أنواع الموعظة وأظهر ما يكون في الحث على التمسك بالفضائل والتجمل بالأخلاق الحسنة . كالصدق والأمانة والعفة والمروءة والحلم والصبر . . الخ وبيان آثارها في الفرد والمجتمع والتحذير من الوقوع في الرذيلة كالكذب والخيانة والجبن والغدر . . الخ والآيات الواردة في هذا الباب كثيرة كقوله تعالى : ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[88] وقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[89] وهكذا .

ومن معالم العظة وأصولها شد المسلم إلى غاية عليا ينقضى عمره ولا ينتهى من التحليق إليها والسير الحثيث إلى سبيلها ، هذه الغاية هي الله جل جلاله ونوال رضاه والتلذذ بذكره والتنعم بعبادته والتطلع الى ما عنده ، وهذه الغاية لا تنال بالأمانى الفارغة مع القعود والكسل فإن من يريد الوصول إليها عليه بالتزود بخير زاد وهو زاد التقوى وجعل حياته كلها لله رب العالمين ، وكان (ﷺ) دائما يذكر المسلمين بهذه المعانى حتى إن أول خطبة خطبها في المدينة كانت في الحث على تقوى الله والتعلق بالآخرة[90] .

وليس هناك أبلغ في التأثير بالموعظة من الاتصال بكتاب الله العظيم تلاوة وتأملاً وفهماً وفتح منافذ القلب إلى هذا الكتاب العظيم لتنساب أنواره إلى كيان المسلم فتزيل أدواءه وظلمته ، وتبعث فيه الحياة الحقيقية ، فالقرآن الكريم كما وصفه الله نور وهدى وشفاء وروح ، ولا يبقى مع النور ظلمة ، ولا مع الهدى شك ، ولا مع الشفاء داء ، ولا مع الروح موت قال تعالى ﴿ . . . فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[91] وقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ

---

(٨٧) سورة الحج آية ١١ .

(٨٨) سورة النساء الآية ٥٨ .

(٨٩) سورة هود الآية ١٨ .

(٩٠) ابن هشام : السيرة النبوية : جـ٢ ص ١١٨ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد القاهرة - كتاب التحرير ١٣٨٣هـ .

(٩١) سورة البقرة الآية ٢ .

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩٢] وقال ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[٩٣] وبهذا الأسلوب تصح القلوب وتزكو وتشرق بالهدى والنور ، فيتجمل الإنسان بمكارم الأخلاق وجميل الفضائل، ومحامد الخصال.

* ثانيـــاً : القصـــة القرآنيـــة :

أهميتها في البيئة العربية : لازمت القصة الإنسان منذ وجوده، وارتبطت بحياته يصنعها بفكره ويتحدث عنها ثم يستمع لها، استثارة بوقائعها، وتجديدا لأحداثها، وقد عانت البيئة العربية شدة وقسوة من أجل لقمة العيش فجاهدت وكافحت، وسجلت حياتها قصصا باقياً للرواة يحفظونه ويتناقلونه على مر الزمن وفي سائر البقاع، وكانت القصة تثير العربي وتؤثر فيه، وتجذب انتباهه ليعيش مع أحداثها وعناصرها، كما كانت قريش تستملحها، وكان النضر بن الحارث يشترى كتب الأعاجم ويحدث بها قريشا ويقول: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة[٩٤].

ونظرا لهذا الدور الخطير للقصة جعلها القرآن أحد أساليبه في التوجه إلى التربية الخلقية بين العباد إضافة إلى كونها أحد أساليبه في نشر الدعوة والتبشير برضوان الله والتحذير من معصيته وتثبيت قلب النبي (ﷺ) ومن آمن معه ولذلك ظهرت مبكرة مع بداية العهد المكى لتقوم بدورها في البلاغ المبين وترسيخ القيم النبيلة بين المسلمين.

* مفهـــوم القصـــة القرآنيـــة :

تناولت القصة القرآنية مختلف نشاطات الحياة، وكذلك مختلف الميول والمشاعر والأحاسيس الانسانية، كما أنها تصور نواحي الحياة المختلفة بصدق وواقعية، فتعرض الأشخاص، وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم وبيئاتهم الطبيعية

---

(٩٢) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٩٣) سورة الشورى الآية ٥٢.

(٩٤) الزمخشرى : الكشاف جـ٣ ص ٢٢٩ طبع ونشر مكتبة الحلبي ١٩٦٦م.

والزمنية، كما تمتاز باستمالة النفس إليها فتحرك وترفع نبض المشاعر[٩٥]، كما انها أول قصة في لغتنا العربية عرفت الإلتزام وحددت (رسالة الأدب) بمعناه الإنساني الذي يفهم الأدب على أساس وظيفته الإجتماعية التي تدعو الناس كلهم إلى الخير وتبعدهم عما ألفوه من خلق وعادات وآراء زائفة وعقائد وعبادات باطلة[٩٦].

وقد حوى القرآن الكريم كثيراً من قصص السابقين فذكر معاشهم ووصف حياتهم وبين عقائدهم ووضح مواقفهم من رسل الله إليهم وبذلك حفظ لنا مادة طيبة للقصة القرآنية المشتملة على الأحداث والحوار والأشخاص والزمان والمكان.

وقد تكلم علماء المسلمين في مفهوم القصة وأحاطوا بمعناها.

فذكر صاحب المختار أن أصل المادة (قصص) مشتق من قص أثره أي تتبعه، والقصة واحدة القصص. هي الأمر والحديث يقال اقتص الحديث رواه على وجهه، وقص عليه الخبر، والإسم القصص بالفتح وضع موضع المصدر، والقصة: التي تكتب[٩٧] وجاء في المصباح قصصت الخبر حدثت به على وجهه والإسم القصص بفتحتين، وقصصت الأثر[٩٨]. فنرى أن مفهومها اللغوي يدور حول المتابعة لأمر والحديث عنه وروايته على وجه ورود كتابته على هذا النمط، وهذا المفهوم اللغوي موجود في القصة القرآنية لأن الذي يقرأ القرآن يلحظ أن قصّه يتتبع أحداثاً وقعت ويسجلها مكتوبة على وجه ورودها بصورة حسنة. كما جاء في قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[٩٩] والحسن كما يقول الرازى راجع إلى ألفاظ القصص ومعانيه[١٠٠] وعلى هذا يمكن تعريف القصة القرآنية: بأنها كلام حسن في لفظه ومعناه مشتمل على أحداث حقيقية سابقة ومتضمن على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الخير.

والقصة في القرآن لم يقصد بها تاريخ الرسول مع قومه وإنما المقصود ما فيها من

---

(٩٥) البهى الخولي: تذكرة الدعاة ص ٤٤، ٤٥- ط ٨ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٧م.

(٩٦) عفيف طبارة: اليهود في القرآن ص ٢٥١ ط ١١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٦ نقلا عن الأستاذ أحمد أبو سعد: فن القصة.

(٩٧) الرازي: مختار الصحاح مادة قص ص ١٨٧ ط عيسى الحلبي بمصر بدون.

(٩٨) المصباح المنير جـ ٢ ص ٧٢.

(٩٩) سورة يوسف الآية ٣.

(١٠٠) الرازي: مفاتيح الغيب جـ٥ ص ١٥٠ المطبعة المصرية ١٩٣٣.

دروس وعبر وقد شهد بذلك دكتور (فيليب حتى) فقال : (ويقصد القرآن من عرض قصصه التوسل إلى عبرة أخلاقية أو مغزى سام أو عظة أدبية مثلى كأن يعلن للناس أن الله في القديم كان يجازى المستقيم على استقامته ويعاقب الشرير على شره[١٠١] .

* منهج القرآن في عرض قصصه :

إن القرآن الكريم حين يعرض لقصة من قصصه فإنه (يعرضها عرضاً أدبياً ويسوقها سوقاً عاطفياً يبين المعاني ويؤيد الأغراض ويؤثر بها التأثير الذي يجعل وقعها على الأنفس وقعاً استهوائياً يستثير منها العاطفة والوجدان)[١٠٢] ومن هذا الإتجاه لا يصح أن يؤخذ على القرآن أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها وأن لا يتسلسل في إيراد حدوثها مرتبة منظمة ذلك لأن القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ فحينا يقص القصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء مرتبطاً بعضها ببعض في تسلسل واتساق حتى تصل إلى نهايتها كما هو الحال في سورة يوسف، وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها لأن في هذا البعض ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحاً اعتماداً على أن القصة معروفة مشهورة يقول الشيخ محمد عبده إن قصص الأنبياء والأمم في القرآن لم يقصد بها سرد الوقائع مرتبة حسب أزمنتها وإنما المراد بها الاعتبار والعظة ببيان النعم متصلة بأسبابها ومتى كان هذا هو الغرض من السياق، فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع في الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ في التذكير وأدعى إلى التأثير[١٠٣] .

وبالرجوع إلى كتاب (التصوير الفني في القرآن) يمكن الاستفادة من الوقوف على منهج القرآن فى عرض قصصه كما أشار إلى ذلك صاحب الكتاب والذي اعتبر فيه هذا المنهج أثراً من آثار خضوع القصة القرآنية للغرض الديني كما يأتي :

١ - تكرار القصة في مواضع متباينة - لا يتناول القصة كلها غالبا وإنما هو تكرار لبعض حلقاتها وبالأخص موضع العبرة منها . أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادراً

---

(١٠١) د . فيليب حتى : تاريخ العرب جـ١ ص ١٧٢ من الترجمة العربية ط ٢ بدون .

(١٠٢) د. محمد أحمد خلف الله : الفن القصصى في القرآن الكريم ص ١٢٢ ط ٢ النهضة المصرية بالقاهرة بمصر .

(١٠٣) تفسير المنار جـ ١ ص ٣٢٧ ط ٣ طبع ونشر دار المنار .

ولمناسبات خاصة من السياق، ومعنى ذلك أن القصص القرآني ليس فيه تكرار مطلق كما قد يتوهم البعض كما أن أداء بعض هذه القصص التي جاءت مطولة في بعض المواطن بعبارات أقل لا يمكن إلا مع تجاوز لبعض الأغراض التي جاءت في الغرض المطول . . أما مبدأ الإيجاز والاختصار فقد جاء به النص القرآني ذاته[١٠٤] .

هذا بالاضافة إلى أنه يعرض من القصة بالقدر الذي يحتاج اليه ومن الحلقة التي تتفق معه وبدون تجاوز للوقائع التاريخية فمرة يعرض القصة من أولها ومرة من وسطها ومرة من آخرها حسبما تكمل العبرة في هذا الجزء أو ذاك .

٢ - مزج التوجيهات الدينية بسياق القصة قبلها وبعدها وفي ثناياها كذلك مع ذكر تعقيب ديني يناسب العبرة فيها . وأما ما يذكر من التوجيهات في ثناياها فما أكثره كما في قصة يوسف مع خادمي الملك حين فسر لهما الرؤيا يقول ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ . . **إلى قوله تعالى** وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[١٠٥] وكذا في قصة سليمان مع بلقيس يقول الهدهد ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . . الى قوله تعالى : اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴾[١٠٦] كل ما ذكر في هذه الآيات ذكره الهدهد في ثنايا القصة ليهتدى العباد بهداه فيما يقول وهكذا لا يكون سياق القصة إلا وفي ثناياه تلك التوجيهات .

* دور القصة القرآنية في التربية الخلقية :

لقد استخدم القرآن القصة كأسلوب من أساليب التربية الخلقية والإقناع الكامل للعمل بمضمونها وتصديقاً بمفهومها من خلال التأثير الإيجابي في النفس من خلال تلاوة القرآن أو سماعه أو مدارسته لما في القرآن من براعة الأسلوب وجودة الأداء وجمال التصوير فهو القصص الحق كما قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ ﴾[١٠٧] فهو حق وواقع وليس بتمثيل ولا خيال ذاهب ويظهر الدور البارز للقصة القرآنية في تربية الأخلاق مما يأتي : -

---

(١٠٤) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ص ١١٨ ، ١١٩ وما بعدهما ط ٤ دار الشروق ١٩٨٠ .

(١٠٥) سورة يوسف الآية ٣٧، ٣٨ .

(١٠٦) سورة النمل الآية ٢٣ - ٢٥ .

(١٠٧) سورة آل عمران الآية ٦٢ .

١ - التذكير بالخبر الصادق كما ورد في قصة آدم[١٠٨] التي تقص علينا نشأة الخلق ومكانة آدم بين الأنبياء وأبناء آدم بين الكائنات، وكما في قصة موسى وهارون[١٠٩] وما كان من أمرهما مع فرعون وقصص غيرهم[١١٠] من الأنبياء والرسل.

٢ - التربية : حيث تستخدم القصة القرآنية كوسيلة تربوية من خلال عرض القصص لمواقف إنسانية وكيف التزم المؤمن منهج الله فكانت النجاة وكان الفوز وفي قصة يوسف مع أبيه وإخوته و ما كان من ابتلاء الله له مع العزيز وامرأته خير ما يحتاج إليه المؤمن من زاد حقيقى.

٣ - التعليم: فالقصة القرآنية وسيلة لتعليم أصول الدين وأدب الاستعانة بالله وآداب مخاطبة الرسول (ﷺ) وكيف يتعامل المجتمع مع أبنائه وكيف يعاقب المسيء ويثيب المحسن كما في قصة قابيل وهابيل وفي قصة موسى مع ابنتى شعيب وكلها تعلم الإنسان قواعد الدين وأصول الأخلاق وأسس الحياة الكريمة[١١١].

٤ - كما أن القصة مجال خصيب للترغيب والترهيب ذلك لأن الإنسان إذا استثير شوقه إلى شيء مازاد اهتمامه به وسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياة الفرد عملاً وتحمساً رغبة في الحصول عليه كما أن الخوف من شيء ما يجعل الإنسان يهابه ولا يرغبه ويبتعد عنه حذراً من الوقوع فيه[١١٢] والواجب على العقلاء أن يعملوا فكرهم في قصص السابقين ويتدبروا فيه لأن القصة كما يقول الرازي (تهدى إلى الدين وترشد إلى الحق وتأمر بالنجاة)[١١٣] والقصص القرآنى مجال خصب للدراسة وما أكثر ما كتب فيه من رسائل ومجلدات ودراسات تناولت جوانبه المتعددة ففيه العديد من الدروس والعبر والفوائد الجمة بما ليس من خصوص هذا البحث التعرض له.

---

(١٠٨) سورة البقرة ، المائدة ، والأعراف، وطه، ص وغيرها.

(١٠٩) في طه والشعراء والنمل والقصص وغيرها.

(١١٠) سورة الأعراف، هود، الأنبياء، والشعراء وغيرها.

(١١١) د. زيدان عبدالباقي : وسائل وأساليب الاتصال ص ٢١٣، ٢١٤ ط ٢ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٩م ، د. محمد كمال امام النظرة الاسلامية للاعلام ص ١١٧، ١١٨ ط ١ دار البحوث العلمية بمصر ١٩٨١.

(١١٢) د. أحمد غلوش : الدعوة الإسلامية ص ٣٢٧ ط دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٩م.

(١١٣) الرازى: مفاتيح الغيب جـ٢ ص ٧١٢.

* ثالثاً : المثـــل في القـــرآن :

في البيئة العربية : استخدم العرب المثل في كلامهم وأرادوا به الشيء العجيب المدهـــش في صفته وحقيقته وكثيرا ما أتوا به على صورة التشبيه بأركانه والعرب لم تصنع أمثالها عبثا بل لابد من أسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لأمر من الأمور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء وليس في كلامهم أوجز من المثل ولا أشد منه اختصاراً ومن أمثالهم ما ذكره الرازي في تفسيره (أخفى من الذرة، وأطيش من الذباب وأضعف من فراشة)(١١٤) ومن أمثلتهم قول الشاعر :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ∴ إن كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا .

وهو مثل يضرب للحث على اجتذاذ الشر من جذوره حتى لا تقوم له قائمة فيما بعد .

وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الأمثال المختلفة جريا على لغة العرب، والأمثال القرآنية هادفة ولها أثرها الواضح في الإيمان بالله وتهذيب الأخلاق والتمسك بالقيم ولذا وردت كثيرا في القرآن الكريم .

* مفهـــوم المثـــل في الـقرآن الكـــريم :

المثل والمثل الشبه والشَّبَهْ والشبيه وزنا ومعنى في الجملة وقيل المثل بفتحتين معناه الوصف ومنه قوله تعالى ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ.. ﴾(١١٥) أي وصفها هكذا وبالكسر معناه الشبه، والمثل القرآني يكون حقيقة فيطلق على نفس الشيء وذاته كقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾(١١٦) أي حكايتهم كواقعها وقد يأتي على صورة التشبيه كقوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا . . **الخ الآية** ﴾ وقد عقب القرآن الكريم على هذا التشبيه بقوله ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١١٧) ومن هذه الصورة التشبيهية جاء تعريف صاحب فتح البيان للمثل

---

(١١٤) الرازي المرجع السابق جـ١ ص ٣٥١.
(١١٥) سورة الرعد الآية ٣٥.
(١١٦) سورة محمد الآية ٣.
(١١٧) سورة الجمعة الآية ٥.

بأنه (عبارة عن قول يشبه قولاً آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره)[118] وإلى هذا النوع من المثل يشير صاحب المنار (وأبلغه تمثيل المعانى المعقولة بالصورة الحسية وعكسه)[119].

هذا وفي القرآن الكريم ألفاظ جرت مجرى المثل وهو ما يعرف بالمثل السائر ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[120] ويضرب وقت ظهور الشيء واتضاحه وقوله تعالى ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[121] يضرب للمتعارضين. ورغم اختلافهم فالكل فرح بوجهته وقوله تعالى ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[122] ويضرب حين الانتهاء من أمر متنازع فيه بأى وجه كان وأشباه هذا كثير في القرآن.

* دور المثل القرآني في التربية الخلقية:

يؤدى المثل دوره التربوى لما اشتمل عليه من دقة تصويرية، وإبراز للمعقول في صورة المحسوس بحيث تكون نسبته إلى العقل كنسبة المحسوس إلى الحس ويتضح هذا الدور التوجيهى بما يأتى: -

١ - التأثير النفسي: يستمد المثل القرآني دوره التأثيرى من عناصر الطبيعة لتظل قريبة من الإنسان أيا كان تعيش معه وتؤثر فيه، وحتى يؤدى المثل هذه المهمة نراه يتخذ من الطبيعة ميدانا يقتبس منها صوره فمن نباتها ترى الحبة تنبت سبع سنابل، وترى الشجرة الطيبة والخبيثة، والزرع الذي أخرج شطأه، ومن حيواناتها ترى الحمار والكلب، ومن حشراتها ترى البعوض والعنكبوت، ومن طيورها ترى الهدهد، ومن أحجارها ترى الرماد الصلد والجبل ذلك لأن القرآن لا يقصد الاهتمام بالممثل به بقدر ما يهتم باقتراب الصورة في نفس الإنسان مع شدة وضوحها وتأثيرها[123].

---

(١١٨) أبو الطيب القنوجي: فتح البيان في مقاصد القرآن جـ١ ص ٦٢ ط ١ المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة.

(١١٩) تفسير المنار جـ١ ص ١٦٧ ط ٣ طبع ونشر دار المنار.

(١٢٠) سورة يوسف الآية ٥١.

(١٢١) سورة المؤمنون الآية ٥٣.

(١٢٢) سورة يوسف الآية ٤١.

(١٢٣) د. أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية ص ٣٧٤ بتصرف.

٢ - يحقق المثل هذا الدور التربوى عن طريق ترغيب الناس بالخير والثواب وترهيبهم من الشر والعقاب لأنهم بذلك ينفعلون وجدانيا ويندفعون إلى الإيمان بالله والإتجاه إلى الخير وعمل الصالحات وذلك عن طريق استعراضه لطوائف الناس وبيان مصير كل طائفة، وهذا منهج عملي يجعل المستمع يتمنى أن يكون مع الطائفة الناجية ويبتعد عن الطائفة الخاسرة والناس طوائف ثلاثة يضع المثل القرآني لها ما يجليها ويبين قيمتها وقيمة عملها.

فيقول عن المؤمنين: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ **الخ الآية** ﴾[١٢٤] وهذا المثل يبين حقيقة المؤمن وأنه لا تغره مظاهر الحياة الدنيا. حياته كلها ذكر لله انتظارا للفوز في الآخرة معتمدا على الله في حاجاته ومطالبه وهو ما كان من امرأة فرعون. وعن المنافقين يقول ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا . . . **الخ الآية** ﴾[١٢٥] وهو مثل يوضح حقيقة المنافق وأنه يعيش بالإيمان ظاهرا الا انه صنع بنفاقه حجاباً كثيفاً بينه وبين نور الهدى، وعن الكافرين يقول ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١٢٦] فقد مثل الكفار بالبهائم التي تسمع صيحات راعيها ولا تفهم منها شيئاً ولا تعقل أمراً ولا نهياً وهكذا الكافر لا أثر لشيء في حياته حتي نفقته هباء لا يستفيد منها شيئاً يقول تعالى ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ ﴾[١٢٧] وهو يشبه نفقة الكفار بحرث لهم هبت عليه ريح فأستأصلته من جذوره، ولم تبق منه شيئاً. ومن الترغيب والترهيب بالمثل ما جاء من وصف الجنة وصفاً شيقاً يبرز محاسنها كما في سورة الرعد[١٢٨] وسورة محمد[١٢٩] وهكذا يبرز المثل الجنة في صورة حسنة جميلة نافعة كما يبرز ما ينتظر الكافرين من سوء العاقبة جزاء عصيانهم كما جاء في سورة النور[١٣٠]، حيث ترسم الآية مشهداً مثيراً ومؤثراً لسوء المصير الذي ينتظرهم يوم القيامة وهكذا يحقق المثل دوره التأثيرى في

---

(١٢٤) سورة التحريم الآية ١١.
(١٢٥) سورة البقرة الآية ١٧.
(١٢٦) سورة البقرة الآية ١٧١.
(١٢٧) سورة آل عمران الآية ١١٧.
(١٢٨) سورة الرعد الآية ٣٥.
(١٢٩) سورة محمد الآية ١٥.
(١٣٠) سورة النور الآية ٤٠.

التوجيه عن طريق المناصحة والإرشاد يقول الإمام السيوطي (إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيراً ووعظاً)[١٣١] وجاء في البرهان (وضرب الأمثال يستفاد منه التذكير والوعظ والحث والزجر، والاعتبار والتقرير.. الخ)[١٣٢] قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[١٣٣] وهكذا يقوم المثل بدوره في التربية والتمسك بالقيم الرفيعة، على قدر الطاقة البشرية فيستنزل المعانى الصعبة ويجعلها في متناول العقل الإنسانى وذلك في بيان معجز وترتيب عجيب.

* رابعاً: التاريخ الإنساني:

مفهوم الكلمة: قال صاحب القاموس: أرخ الكتاب فأرخه وآرخه وقته، والإسم الآرخة بالضم وجاء في لسان العرب أرخ التاريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرخ الكتاب بيوم كذا وقته والواو فيه لغة يقال: أرخت الكتاب فهو مؤرخ. وعلى هذا فالتاريخ التوقيت: أي تحديد اليوم والشهر والسنة ثم اتسع مدلوله حتى شمل تحديد حادث ما ورواية هذا الحادث والتاريخ هو سجل أحداث الأمم وديوان عبرها، والعلم الذي يشرح قصة الجنس البشري في الوجود، وهو المرآة التي تتجلي فيها سنن الله في الكون عامة وفي المجتمعات البشرية خاصة، والمستودع الذي تستقى منه الأمم العبر والدروس بالنظر فيما أدت إليه أحداث الماضى، والمؤشر الذي يضع أيديها على مواطن القوة والضعف في حياة الأمم وكيف تعمل سنن الله في المجتمعات وفق ضوابط ثابتة لا تجابى امة ولا تجامل شعباً[١٣٤].

* أهمية التاريخ في حياة الأمم:

ليس التاريخ سجلاً تدون فيه قوائم المواليد والوفيات فقط، كما أنه ليس مجرد قصص تروى عن السابقين، وإنما هو بمثابة الذاكرة الواعية التي تمد الأمم بالعبرة والتجربة في شئون الحياة وتدلها على أصول التمكين وقواعد البقاء والارتقاء، وله دوره الواسع

---

(١٣١) السيوطي: الإتقان جـ٢ ص ١٣١ ط ٣ طبع ونشر الحلبي بمصر ١٩٥١.

(١٣٢) الزركشى: البرهان جـ١ ص ٤٨٦.

(١٣٣) سورة العنكبوت الآية ٤٣.

(١٣٤) د. جمعه الخولى: تاريخ الدعوة جـ١ ص ٧ ط ١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٤.

في انبعاث ويقظة الأمم وفي توجيه الأفراد والشعوب بما تنطوى عليه من عوامل القدوة والتأثير، والأمم الواعية هي التي تستفيد من تاريخها وتعالج مشاكلها وأخطاءها على ضوء الماضى وتحاول أن تربط الحوادث والوقائع بأسبابها وعللها الدينية والأخلاقية جاء في دائرة المعارف (علم التاريخ هو محل العبرة ومثار العظات ومصدر العلم والسنن الإلهية في تكوين الأمم وإسعادها وإهباطها، وعلم هذا شأنه جدير بأن يكون في مقدمة العلوم اعتبارا وفي صدرها إكبارا)[١٣٥].

والتاريخ البشرى حافل بألوان مختلفة من الصراع على مستوى الأفراد والجماعات أو الأمم أو الأجيال ويبدو للوهلة الأولى أن الصراع سنة من سنن الله في الأرض، وأن الحياة لا تخلو في لحظة من لحظاتها من وجود صراع فيها بين بعض البشر وبعض بل بين بعض الكائنات وبعضها الآخر، وقد أوجد الله الصراع في حياة البشر وجعله سنة من سننه التي تجرى بها الحياة البشرية لغاية معينة. ومن ثم فهو صحيح ومشروع بل مطلوب وواجب حتى يؤدى تلك الغاية[١٣٦] لقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[١٣٧] وقوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾[١٣٨] وهذا هو التدافع المطلوب وتلك حكمته وغايته، والحياة بدونه تتعرض للفساد كما جاء في الآية الأولى صراحة. ويحدث الفساد بتفلت الناس من التكاليف دون أن يجدوا من يدفعهم إلى الالتزام بها فإذا ماركنوا إلى شهواتهم فسدت الأرض بهذه الشهوات غير المنضبطة كما قال تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس﴾[١٣٩] ومعنى ظهر الفساد تمكن واستشرى واستفحل فلابد من قوة مقابلة تدفع هذا الفساد وهي قوة المؤمنين الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويجاهدون الفساد في الأرض ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . . **الخ الآية** ﴾[١٤٠] من أجل ذلك جعل الله التدافع بين الناس سنة من سننه حتى لا تفسد الأرض وبناء على ذلك

---

(١٣٥) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ١ ص ١٥٢ ط ٣ ١٩٧١م.

(١٣٦) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ص ١٥، ص ١٥٥ ط ٣ نشر المجموعة الاعلامية - السعودية ١٩٨٩م.

(١٣٧) سورة البقرة الآية ٢٥١.

(١٣٨) سورة الحج الآية ٤٠، ٤١.

(١٣٩) سورة الروم الآية ٤١.

(١٤٠) سورة آل عمران الآية ١١٠.

ينقسم التاريخ ابتداء إلى قسمين كبيرين : تاريخ الأمم المؤمنة ، وتاريخ الأمم غير المؤمنة ، ثم ينقسم تاريخ الأمم المؤمنة الى فترات ثلاث :

١ - الأمم القديمة قبل رسالة موسى عليه السلام وتشمل أمة نوح وهود وصالح وابراهيم عليهم السلام .

٢ - تاريخ اليهود والنصارى حتى البعثة النبوية .

٣ - تاريخ الأمة الإسلامية من البعثة النبوية حتى الوقت الحاضر .

والتاريخ يبين أن البشرية بدأت مؤمنة موحدة من لدن آدم عليه السلام ثم طرأ عليها الانحراف بعد ذلك وقد أشار القرآن الكريم إلى وحدة العقيدة على لسان الرسل والأنبياء جميعاً حيث قال كل واحد منهم لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[١٤١] وأن هذا الأصل لم يتطور ولم يتغير على مدى التاريخ الإيماني وإنما تغيرت الشرائع بما يناسب كل قوم أرسل إليهم رسول حتى جاءت الرسالة الخاتمة ، أما تاريخ الأمة الإسلامية فيركز على فترات ثلاث (ليست زمنية بقدر ما هي نوعية) هي :

١ - فترة الذروة وما صاحبها من تمكين فائق .

٢ - فترة التطبيق العادي وما صاحبها من التمكين العادى .

٣ - فترة الانحسار وتزايد البعد عن حقيقة الإسلام وما صاحبها من زوال السلطان وغلبة الأعداء وهذا وفق السنن الربانية التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تحابى أحدا من البشر ، أما تاريخ الجاهليات فيشار فيه إلى تشابه الجاهليات كلها في أصل واحد هو عبادة غير الله وعدم اتباع المنهج الرباني في الحياة ، ثم تفترق الجاهليات بعد ذلك فيكون لكل منها سماتها الخاصة المستمدة من ظروفهاالخاصة ويمكن أن يشار في هذا التاريخ الى تطور العقائد الجاهلية وتأثرها بأحوال البشر ومدى سيطرة الوهم والخرافة عليهم وكذا انحرافات الجاهلية المعاصرة في السياسة والاقتصاد والإجتماع والأخلاق والفكر والفن[١٤٢] . . الخ .

---

(١٤١) سورة الأعراف الآيات ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٥ ، سورة هود ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ .

(١٤٢) راجع : محمد قطب حول التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٢٢٠ - ٢٢٣ مرجع سابق بتصرف .

وببيان مجرى السنن الربانية من هذه الانحرافات، ومدى إرتباط هذه السنن بسيطرة المعسكر الغربي اليوم وأسباب ذلك وغياب الأمة الإسلامية عن الساحة، تتضح معالم التاريخ وتتضح السنن الربانية التي يجرى من خلالها قدر الله.

وفي هذا من الفوائد ما يكفل للأمة أن تسلك سبيل التقدم والازدهار وتبتعد عن طريق الخراب والدمار وفي كل عظة وعبرة وتذكير واقتداء.

* دعوة القرآن إلى الاعتبار بالسابقين:

لفت القرآن الكريم الأنظار إلى كثير من أخبار الأمم الماضية ليحقق من وراء ذلك ذكرى وعظة وعبرة وجاءت دعوة القرآن الكريم بالتوجيه الى السير والنظر في ثلاث عشرة آية في كتاب الله منها ما ورد بالأمر صراحة[١٤٣] ومنها ما يفهم بالأمر من سياقها، وكلها تأتي بعد إخبار بالقصص تأكيداً لإخبارها بالرؤية وتكميلاً بالتدبر والتفكر، والتصريح بالأمر كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[١٤٤] وفيها جميعاً أمر واضح للناس بالسير في الأرض حيث مواطن الأمم السابقة لينظروا ما حدث لهم ويتأكدوا من سنة الله الخالدة في خلقه ويعرفوا عاقبة المكذبين المشركين.

وأما المواضيع السبعة الباقية التي يفهم الأمر من سياقها ففي قوله تعالى[١٤٥] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ويلاحظ أن هذه المواطن السبعة وردت بإحدى صيغتين هما ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ أو ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ وهذا مشتمل على الحث على السير مع التدبر لأن الصيغة كما يقول الرازى تحتمل أمرين: أولهما أنهم أهملوا المسير فحثوا عليه. وثانيهما: أنهم ساروا ولم يعتبروا فأمروا بالاعتبار الذي هو المهم[١٤٦] وقد اكتفى بذكره أبو السعود- ليرددوا فكرهم في كل ما يرون من أحوال الأمم قبلهم وأثر قدرة الله فيهم وخاصة عند مجيء أمره بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين، وهذا يجعل

---

(١٤٣) ورد الأمر صراحة في آل عمران ١٣٧، الأنعام ١١، النحل ٣٦، النمل ٤٩، الروم ٤٢، العنكبوت ٢٠.

(١٤٤) سورة آل عمران الآية ١٣٧.

(١٤٥) وردت الآيات في سورة يوسف ١٠٩، الحج ٤٦، الروم ٩، فاطر ٤٤، غافر ٢١، ٨٢، ومحمد ١٠

(١٤٦) انظر الرازى: مفاتيح الغيب جـ٦ ص ٢٤١ مرجع سابق.

الناظر فيها عالماً بأن العاقبة لم تحكم بأمر طبيعي عادي بل إن الله عندما يعاقب يأخذ أخذ عزيز مقتدر، إنظر الى ما حدث لقوم نوح حيث اجتمع المؤمنون في سفينة أبحرت على سطح الطوفان ونجت بهم في الوقت الذى غرق بهذا الطوفان كل الكافرين وكذلك ما حدث لعاد[١٤٧] وثمود وغيرهم وكل ما تضمنه هذا القصد من وعد للمطيع ووعيد للعاصى هو من الترغيب والترهيب.

والقرآن الكريم أشار إلى مقصده في العبرة بعد ذكره لقصة نوح بإيجاز ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١٤٨] ومعناها كما جاء في الجلالين جعلناها عبرة لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم[١٤٩]، والحادثة تشير إلى القدرة الإلهية التي أمرت بصنع السفينة وإنجائها من الرياح الهوجاء ولتكون عبرة للناس بعد ذلك.

كما أبقى الله جسد فرعون بعد إغراقه للعبرة والعظة فقال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[١٥٠] ذلك لأن فرعون وقومه لما غرقوا نزلت أجسادهم جميعاً إلى قاع البحر إلا جسد فرعون فإنه طفى على سطح الماء عاريا من اللباس كاملا لم يقتطع شيء منه ليكون آية يعتبر بها بنو اسرائيل وهم معاصروه وكل من يأتي بعدهم من الأمم[١٥١]

وليس هذا هو هدف قصة فرعون وحدها وإنما هو هدف سائر القصص ولهذا تكرر في سورة الشعراء عقب كل قصة من قصصها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾[١٥٢] ولذا يشير الزمخشرى إلى روعة الآيات بقوله وأية آية لا توصف وقد شاهدها الناس وشاع أمرها[١٥٣] فيهم وعليهم أن يعتبروا ويتفكروا قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١٥٤] وقوله ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١٥٥] فلو تفكروا لفعلوا، ولو كانوا أصحاب عقل لاتعظوا واعتبروا ولا ندفعوا إلى الإيمان بالله ورسوله.

---

(١٤٧) سورة الحاقة الآية ٥ : ٧.
(١٤٨) سورة العنكبوت الآية ١٥.
(١٤٩) انظر تفسير الجلالين : جـ ٢ ص ٥٥.
(١٥٠) سورة يونس الآية ٩٢.
(١٥١) تفسير أبى السعود جـ ٢ ص ٣٨٤.
(١٥٢) سورة الشعراء ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠.
(١٥٣) الزمخشرى : تفسير الكشاف جـ ٣ ص ١١٥ ط الحلبي ١٩٦٦م.
(١٥٤) سورة يوسف الآية ١١١.
(١٥٥) سورة الأعراف الآية ١٧٦.

* التاريـــخ ودوره في التربيـــة الخلقـــية :

من الواجب أن لا ينظـر إلى التاريخ على أنه تسلية لقطع الـوقع في غير عناء وإنما ينظر إليه على أنه مستودع لأخطاء البشرية وصوابها وضلالها وهـداها، وماجنت في عواقبها من خير أو شر. فيكون دافعا لاستخلاص العبرة والعظة فيعمل مـن خلال ذلك على استقامة المنهج وتصحيـح السلوك تأسيـاً بما استوحاه النـاس من حوادث الـزمن وما جبلـت عليه الطبائع في ذاتها منذ زمن بعيد.

ومن هنا كان الغرض من سياق التاريخ في القـرآن هو تربية النفوس وعلاج الإنسانية ذلك لأنه يتنـاول الغرائز الأصيلة في الإنسان ومعايير المعـرفة ويؤرخ لها ويذكر أثـرها وما أحدثته في بيئتها من خير أو شر.

أما الغـرائز العارضـة والطباع المتغيرة فـلا يحفل القرآن بتـاريخها لانـدثارهـا وبطلان تأثيرها كلما تغير الزمان والمكان والقرآن الكريم في عرضه للحوادث لا يسرد وقائعها وإنما يقف فقط على اللب الذي هو عبرة الحادث فمثلا في ذكره لموقعة طالوت وجالوت[١٥٦] لم يسردها السرد التـاريخي ولكن يعرضهـا العرض الـذي يعيد صورتها إلى الأذهـان فليست الصورة الظاهرية بـذات بال ولكنه يكتفي بما يشعر أن هناك فئة مؤمنـة قليلة جدا تقاتل في سبيل الله، وأخـرى كافرة كثيرة. . فـأيد الله المؤمنين على قلتهم على عدوهـم بالرغـم من تسلحهـم بـالعـدد والعـدة وهـذا درس في التربيـة يبين أثـر الإيمان في تثبيـت القلـوب واستنهاض العزائم، والإقدام واستنزال النصر من الله العزيز الحكيم[١٥٧].

وهكذا كل قضيـة تاريخية تتعلق بقضايا الإنسـان هي قضايا تربويـة إذا اعتبرنا التربية (فن تشكيل الإنسـان على نمط معين) تحدده العقيدة أو المبدأ الذي يديـن به مجتمع معين أو فئة معينة، ومن هنا كانت دراسة التاريخ بالذات من القضايا التربوية المباشرة إذا وضعنا في الاعتبار أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث التـاريخية إنما هو الى جانب ذلك تفسير لتلك الأحداث وتقـويم لها، والتفسير والتقـويم يشمـلان ذات القيم والمبـادىء والأفكار التـي تقوم عليها التربية وتسـعى إلى تحقيقـها، ومن ثم فصلـته بها صلة وثيـقة ومباشـرة بحيـث

---

(١٥٦) سـورة البـقرة الآيـة ٢٤٩، ٢٥٠.

(١٥٧) راجع البهي الخولي: تذكرة الدعاة: ص ٣٦٣ - ٣٦٥ بتصرف ط ٨ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٧.

يمكن القول إن درس التاريخ في حقيقته درس في التربية وأن تفسير التاريخ أمر ذو أهمية بالغة في تكوين الأمة التي يراد لها أن تتربي بدراسة التاريخ[١٥٨] ، وفي تاريخ الأنبياء في القرآن سجل حافل لكل من يريد أن يستقيم على الحق ويهتدى على المنهج الأقوم فيحقق كيانه بكل مقوماته وبكل مكوناته سواء منها توجهه إلى خالقه بالعبادة أو توجهه إلى إقامة مجتمع فاضل بالقيم الرفيعة والأخلاق العالية . أو توجهه للتعرف على الكون المادي أو توجهه لاستثمار معرفته في تحسين أحواله المعيشية وترقيتها . . الخ والمفتاح الذي يحقق ذلك كله هو الإيمان بالله واتباع منهجه في الحياة .

* خامساً : القدوة :

إن القدوة الحسنة والمثل التنفيذي من أهم الأسس في التربية الخلقية وهذا ما فعله الرسول (ﷺ) حين قام بتنفيذ كل مافي القرآن الكريم وتطبيقه تطبيقاً عملياً في حياته الشخصية وفي علاقته مع من حوله من الناس وقد جاء الوعيد الشديد من الله على عدم مطابقة العمل للقول فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[١٥٩] كما ذم القرآن بنى إسرائيل لمخالفة فعلهم لما قالوه قال تعالى :﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ﴾[١٦٠] والدعاة إلى الحق والفضيلة هم الذين يجمعون إلى علمهم العمل بما يدعون إليه فتحسن بهم القدوة وتعظم الأسوة، فيتأثر الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم فالناس لا يرون نموذجاً طيباً إلا سارعوا إلى الالتفاف حوله ذلك لأن التقليد عريق في بنى الإنسان يميل إليه بفطرته فإذا ما وجد المثل العليا أمامه زاد شوقاً إليها . لذلك كان رسول الله (ﷺ) أعظم قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصى قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به قال تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[١٦١] . فكان (ﷺ) آية من آيات الله حيث تجمعت فيه شخوص كثيرة مجتمعة في شخص واحد، كل واحد منها متكامل في ذاته كأنه متخصص في جانبه منطقع له، ثم تجتمع الشخوص كلها على تكامل كل منها فتتكامل على نطاق أوسع ،

---

(١٥٨) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ ص ٥ بتصرف ط ٣ نشر المجموعة الإسلامية - السعودية ١٩٨٧م.

(١٥٩) سورة الصف الآية ٢، ٣.

(١٦٠) سورة البقرة الآية ٤٤.

(١٦١) سورة الأحزاب الآية ٢١.

وتتناسق في محيطها الشامل وتتألف منها نفس واحدة تجمع كل النفوس، ففيه نماذج مضيئة لكل من يتمنى أن يحقق الآمال العريضة والأخلاق الفاضلة والمثل العالية في كل نواحي الحياة، ففيه المثل الأعلى للسياسي المحنك وللقائد المظفر الذي استطاع أن يكون أمة من العدم ويقودها من نصر الى نصر، وفيه المثل الأعلى كأب وزوج ورب أسرة كبيرة كثيرة النفقات.. نفقات النفس والفكر والشعور فضلاً على نفقات المال، وفيه المثل الأعلى كصديق وقريب وصاحب للناس تشغله همومهم، وتملأ نفسه مشاعرهم، فيعينهم ويزورهم ويمنحهم من مودته وعطفه، وفيه المثل الأعلى في قوة الصلة بالله فهو عابد متحنث لربه منقطع للعبادة، متخصص لأدائها، لا يشغله عنها شيء، ومع ذلك كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض، ولقد كانت حكمة الله سبحانه من بعثه على هذه الصورة المتكاملة الشاملة العظيمة كحكمته في إنزال القرآن على هذا النهج الشامل المعجز العظيم، فكان محمد (ﷺ) في كونه آية كفئاً لهذا القرآن، وكان خلقه القرآن، وكان قدوة للناس في واقع الأمر لأنهم يرونه واقعاً متحركا بينهم، وعن طريقه أنشأ الله هذه الأمة التي يقول فيها سبحانه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[162] وبه من الله على تلك الأمة ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[163].

والتأسي والاقتداء بالرسول (ﷺ) باق إلى يوم القيامة ذلك لأن شخصية الرسول (ﷺ) ليست آية عصر ولا جيل ولا أمة ولا بيئة ولا مذهب انها آية للناس كافة وللأجيال كافة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[164] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[165] فهو للعاملين كلهم وللناس كافة في جميع الأزمان والأماكن في كل الأرض وإلى كل جيل آية باقية[166] لا تذهب ولا تنقص ولا تزول وستظل سيرته حين تقرأ تهز أوتار النفوس، وتأخذ بمجامع القلوب وتتغلغل فيها إلى الأعماق.

---

(١٦٢) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(١٦٣) سورة آل عمران ١٦٤.

(١٦٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(١٦٥) سورة سبأ الآية ٢٨.

(١٦٦) انظر. محمد قطب: منهج التربية الإسلامية جـ١ ص ١٨٠ - ١٨٤ بتصرف ط ٤ دار الشروق ١٩٨٠

* دور القـــدوة في التربيـــة الخلقيـــة :

يـرى الإسـلام أن القـدوة أعظم أسـاليـب التربيـة فيقيـم تـربيته الـدائمـة على هـذا الأساس . . فلابـد للطفل من قدوة في أسرته ووالـديه لكى يتشر ب منذ طفـولته المبادىء الإسلاميـة وينهج على نهجها الرفيـع ، ولابد للناس مـن قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطـابع الإسلام وتقاليـده النظيفة لكى يحملوا الأمانـة لمن يربونهم من الأجيـال، ولابد للمجتمع من قدوة في قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهـم تتحقق في شخصه المبادىء وينسج على منواله المحكومون، وليـس ذلك بدعا في واقع النفـوس وواقع الحياة، فالأمـم تعيش أجيالاً على سير أبطالها المحليين الصغار الذين يلبون حاجة جيل معين فى بيئة معينة في بقعة محدودة من الأرض، وكلما ارتفع البطل في مقياس الإنسانية كانت حياته أشمل وأطول وأخلد على مر الأزمان، فكيف بالـرحمة المهداة والسراج المنير، لقد بعثه الله للناس كافـة وللعالمين. وهو أعلم حيث يجعـل رسالته، وقد جعله القـدوة الدائمة للبشرية يعيشون مـن نوره ويتربون على هديه ويرون في شخصه الكريم الترجمة الحية للقـرآن فيؤمنون بهذا الدين على واقع تراه أبصـارهـم محققاً في واقـع الحيـاة. متجـددة على مـر الأجيـال متجددة في واقـع النـاس، والإسلام لا يعـرض هذه القدوة لـلإعجاب والتأمل فقـط وإنما يعرضها عليهـم ليحققها المسلمون في ذوات أنفسهم كل بقدر ما يستطيع ومن ثم تظل حيويتها دافقة ولا تتحول إلى خيال، ذلـك لأن الإسلام يقيم منهجـه التربوى على أسـاس قيمه ومبادئه فيجعلـه منهجاً شامـلاً متكاملاً يبدأ بـولى الأمر وينتهى بـالطفل الرضيـع، وحتى يتكون مجتمع اسـلامي فلابد أن يشرب أطفاله مبادىء الإسلام عن طريق القدوة القائمة في هذا المجتمع متمثلة في الأسرة والوالـدين، والأسرة هـي المحضن الأول الـذي يبذر في نفـس الطفل أول بـذوره ويكيف بتصرفاتـه مشاعر الطفل وسلوكـه، ومن ثم ينبغي أن تكـون الأسرة مسلمة حتى ينشأ جيل مسلم يحقق في نفسه مبادىء الإسلام. يأخذها بالقدوة المباشرة المنقولة عن قدوة الرسول (ﷺ). كما ينبغي أن تكون سيرة الرسول جزءاً لا يتجزأ من منهج التربية سواء في المنزل أو المدرسة أو الكتاب أو الصحيفة أو المذياع أو التلفـاز لتكون القدوة دائمة وحية في المشاعـر والأفـكار[١٦٧] ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾[١٦٨].

---

(١٦٧) راجع : منهج التربية الإسلامية مرجع سابق ص ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٢١٦ - ٢١٨ بتصرف.

(١٦٨) سـورة الأعـراف الآيـة ٥٨.

وبعـــــد:

فمازال المجال فسيحاً للحديث عن التربية الخلقية في القرآن الكريم بدراسة ما ورد فيه من أساليب كثيرة ومتنوعة ، ذكرت بعضا منها وسكتّ عن البعض الآخر حتى تحين الفرصة لبحثها ودراستها في ضوء القرآن الكريم لما لها من أهمية في تربية العقول وإصلاح القلوب وتهذيب النفوس والأخذ بيد الإنسان نحو الكمال، وما كان إمساكي عن الكتابة لما تبقى من الأساليب التربوية للأخلاق في القرآن كالتربية، والتوبة والاستغفار . . الخ الا التزاما بالمساحة المتاحة والقدر المسموح به في هذا المجال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ، ،

أهـم مراجـع البحـث

١ - القـــرآن الكريـــــم.

٢ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ط حلب ١٩٨٠م.

٣ - ابن منظور : لسان العرب ط دار لسان العرب - بيروت ١٩٥٥م.

٤ - ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد - القاهرة كتاب التحرير ١٣٨٣هـ.

٥ - ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ط ١ - المطبعة الأدبية - القاهرة - ١٣١٧هـ.

٦ - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين - ط دار الفكر بيروت ١٣٥٦هـ.

٧ - أبو الطيب القنوجى : فتح البيان في مقاصد القرآن - ط ١ المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة.

٨ - الشيخ ابراهيم الدسوقي: الدعوة الإسلامية علماً وعملاً. ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بمصر - العدد ١٨ - ١٩٨٧م.

٩ - الاستاذ أحمد أمين : الأخلاق ط ٣ دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٤م.

١٠ - د. أحمد غلوش: الدعوة الاسلامية ط ١ دار الكتاب المصرى، دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٩م.

١١ - الاستاذ أنور الجندي : الإسلام والدعوات الهدامة ط ١ دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٤م.

١٢ - الأستاذ البهى الخولى: تذكرة الدعاة ط ٨ دار التراث بالقاهرة ١٩٨٧م.

١٣ - د. جمعه الخولى: تاريخ الدعوة ط ١ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٤م.

١٤ - الرازي : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) المطبعة المصرية ١٩٣٣م.

١٥ - الرازي : مختار الصحاح ط عيسى الحلبي بمصر بدون.

١٦ - الزمخشرى: تفسير الكشاف - طبع ونشر مكتبة الحلبي ١٩٦٦م.

١٧ - د. زيدان عبدالباقى: وسائل وأساليب الاتصال ط ٢ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٧٩م.

١٨ - الشهيد سيد قطب: في ظلال القرآن ط ٤ دار الشروق ١٩٧٨م.

١٩ - الشهيد سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم ط دار الشروق ١٩٨٠م.

٢٠ - السيوطى : الإتفاق في علوم القرآن ط ٣ طبع ونشر الحلبى بمصر ١٩٥١م.

٢١ - د. عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة ط ٣ دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر - اسكندرية - مصر ١٩٧٦م.

٢٢ - د. عبداللطيف العبد: الأخلاق في الإسلام ط ٢ دار الاشعاع للطباعة بالقاهرة ١٩٨٥م.

٢٣ - عفيف طباره : اليهود في القرآن - ط ١١ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٦م.

٢٤ - الشيخ على محفوظ: هداية المرشدين . . ط ٩ دار الإعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م.

٢٥ - الفيروز أبادي: القاموس المحيط: ط ٢ مصطفي الحلبي وأولاده ١٩٥٢م.

٢٦ - د. محمد عبدالله دراز : الدين - مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٦٩م.

٢٧ - د. محمد عبدالله دراز : المختار من كنوز السنة ط ٤ أمير دولة قطر.

٢٨ - د. محمد عبدالله دراز : دراسات إسلامية في العلاقات الإجتماعية والدولية ط ٢ - دار القلم الكويت ١٩٧٤م.

٢٩ - د. محمد يوسف موسى: مذكرات في علم الأخلاق - مطبعة شبرا ومكتبتها

بالقاهرة ١٩٣٩م.

٣٠ - محمد رشيد رضا : تفسير المنار ط ٣ طبع ونشر دار المنار.

٣١ - محمد جمال الدين القاسمى : موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين - ط ٥ دار النفائس - بيروت ١٩٨٦م.

٣٢ - محمد فريد وجدى : دارة معارف القرن العشرين ط ٣ ١٩٧١م.

٣٣ - د. محمد احمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ط ٢ طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

٣٤ - د. محمد كمال إمام : النظرة الإسلامية للإعلام ط ١ دار البحوث العلمية بمصر ١٩٨١م.

٣٥ - الأستاذ محمد قطب - منهج التربية الإسلامية ط ٤ دار الشرق ١٩٨٠م.

٣٦ - الأستاذ محمد قطب - حول التفسير الإسلامي للتاريخ ط ٣ المجموعة الإعلامية بالسعودية ١٩٨٩م.

٣٧ - الشيخ محمد الغزالي : خلق المسلم ط ٨ مطبعة حسان بالقاهرة ١٩٧٤م.

٣٨ - الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ط ١ مطبعة الأزهر نشر إدارة الثقافة الإسلامية ١٩٥٩م.

٣٩ - د. محمود حمدى زقزوق : مقدمة في علم الأخلاق ط دار القلم بالكويت.

٤٠ - د. يوسف القرضاوى : الإيمان والحياة ط ٤ مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٩م.

فهـــرس البحـــث

الموضـــوع	الصفحة
* تقديـــم	٥٠٩
* تمهيـــد	٥١٠
مفهـوم الخلـق	٥١١
العلاقـة بـين الإسـلام والخلـق	٥١٧
مدى ارتبـاط الخلـق بالعقيـدة	٥١٩
منزلـة الأخـلاق في الإسـلام	٥٢٣
أسـاليب القـرآن في تهـذيب الأخـلاق	٥٢٥
أولاً : الوعـظ والإرشـاد	٥٢٦
أسلـوب الموعظـة في القـرآن الكريـم	٥٢٧
أنـواع الموعظـة : تعليـم ، تأديـب	٥٢٩
ثانياً : القصـة القرآنيـة	٥٣١
مفهـوم القصـة القرآنيـة	٥٣١
منهـج القـرآن في عرض قصـصه	٥٣٣
دور القصة القرآنية في التربية الخلقية	٥٣٤
ثالثاً : المثـل في القـرآن	٥٣٦
مفهـوم المثـل	٥٣٦
دور المثل القرآني في التربية الخلقية	٥٣٧
رابعاً : التاريـخ الإنسـاني	٥٣٩
أهمية التاريخ في حياة الأمم	٥٣٩
دعوة القرآن إلى الإعتبار بالسابقين	٥٤٢
التاريخ ودوره في التربية الخلقية	٥٤٤
خامساً : القـدوة	٥٤٥
دور القـدوة في التربيـة الخلقـية	٥٤٧
أهـم مراجـع البحـث	٥٤٩
* فهـرس البحـث	٥٥٣